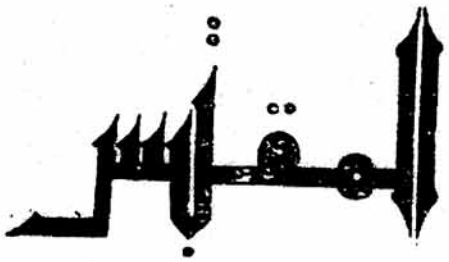

غرة رمضان سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

جول سيمون

١٨١٤ – ١٨٩٦

كان سيمون مثل كثير من رجال الادارة في الاسلام جامعاً بين العلم والسياسة يشبه بعلمه وعقله يحيى بن خالد وزير الرشيد ويحيى بن اكثم وزير المأمون ولسان الدين بن الخطيب وزير بني الاحمر ويعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمي والصاحب بن عباد وزير بني بويه وأبي بكر بن زهر الاندلسي وزير المصامدة وابن سينا وزير شمس الدولة صاحب همذان وعبد الملك بن سعيد وزير يحيى بن غانية الملثم ملك الاندلس وأبو القاسم الحسين بن المغربي وزير العبيديين وصاحب ديار بكر وميافارقين والقاضي الفاضل وزير صلاح الدين يوسف وغيرهم من الافراد في العلم والرئاسة على اختلاف في الطباع والبقاع . لكن هؤلاء الاعاظم تمكنوا من العلم ونشأوا على معاطاة الاعمال بفضل عقولهم وقوة ولوعهم ومترجمنا هذا نشأ وسط أمة

منورة ترغب في التعليم والتهذيب وتنشط القائمين بأمرهما فكان له من جريدة طريقة العلم أعظم سبب يوصله الى غاية الفضل والفضيلة

ولد صاحب الترجمة من أبوين فقيرين في احدى قرى مقاطعة لوريان احدى العمالات الفرنسوية فلما ترعرع دخل المدرسة وناهيك بما يقاسيه ابناء المعوزين في المدارس للقيام بحاجاتهم المدرسية واداء أجور الدراسة . بيد ان فقره لم يثن من عزمه ودرس في مدرستي لوريان وفان اللتين درّس فيهما بعد. ولما أتم الدراسة عين أستاذاً في مدرسة رين عام ١٨٣٢ وما زال يتقلب في التعليم من دار علم الى دار علم حتى انتهى الى مدرسة السوربون الباريزية الكبرى وعهد اليه تدريس الفروع الحكمية العالية وظلّ طول هذا الدهر حليف فاقة اضطرته أن يشغل أوقات فراغه من التدريس في مؤازرة الصحف وتأليف الكتب فقضى في ذلك تسع سنين أتته بأجزل الفوائد . وقد بدأ أولا يؤازر في مجلة بريتان ثم في مجلة العالمين وما زال يؤازر في الجرائد والمجلات طول حياته فقد ذكروا انه ساعد في كتابة جريدة البريس والسيكل وكان مديراً لهذه من سنة ١٨٧٥ الى سنة ١٨٧٧ وادار شؤون الغولوا من سنة ١٨٧٨ الى سنة ١٨٨١ والماتين والفيغارو والطان والدبا وغيرها من الجرائد والمجلات ومنها مجلة البيوت

قالوا ان الاحوال توجد الرجال وهو قول يصدق على سيمون كما يصدق على غيره فلو لم تطرأ على فرنسا طواري سياسية هائلة لظلّ سيمون يعلم في المدارس ويكتب في الصحف وينشر الكتب ولكن حب بلاده دعاه الى الدخول في غمار السياسة فخطب في قاعة السوربون بعد سقوط الحكومة الملكية سنة ١٨٥١ داعياً الى الحكم الجمهوري فقال وهو مما اشتهر به كثيراً

ما جئت لالقي عليكم درساً في الاخلاق بل جئت وعامل الواجب يدفعني ان اكون لكم مثالا تجرون عليه لا أن ألقنكم درساً تحفظونه . جئت لاقول لكم ان غداً تجتمع فرنسا وتلتئم منتدياتها لتندد بما أحدثته الحكومة أو لتقر عليه . أما أنا فأصرح على رؤوس الاشهاد بانه اذا لم ير الراؤون غير رأي واحد يناقض الاراء ويكون الى التنديد فانا اكون صاحب هذا الرأي لاغيري . اه

فكانت هذه الجملة المأثورة سبباً في تنحيته عن التدريس في السوربون واضطر الى الاعتزال في ذات زمن انقطع فيه الى الابحاث التاريخية . وبعد فان الثورة الفرنسوية الثانية (١٨٤٨) هي مبدأ دخول سيمون فى السياسة فعين بعدها بقليل وزيراً للمعارف والاديان والفنون الجميلة وكان اكبر همه اصلاح التعليم فوضع مشروع التعليم الابتدائي الاجباري ثم استقال ولما كان في مجلس الشيوخ عني أيضاً بمسائل العلم وحاول أن يحول دون نشوب الحرب بين فرنسا وبروسيا فلم يفلح ولما انتخب سنة ١٨٦٣ عضواً في المجلس التشريعي استمال بما رزقه من شدة العارضة وقوة البيان قلوب من كانوا عليه إلباً حتى صاروا من أعز أنصاره فعرفه قومه بانه من أشد أعوان الفقيرات من النساء وداعية الحرية الدينية ومصلح حال العملة والعلم والتعليم . وعين أيضاً عضواً في المجمع العلمي الباريزي وهو المجمع المؤلف من أربعين عالماً من كبار علماء الفرنسيس وسنة ١٨٧٦ تولى رئاسة الوزارة كما تولى رئاسة عدة جمعيات وحفلات سياسية وعلمية وأدبية .

هذا هو الرجل العظيم الذي جمع في جنبيه العلم والعمل فكان العلم والتهذيب اكبر دافع له الى مقاومة أنصار الباطل والصبر على المكاره فيما

يلقاه من فقر وقلة ولم يتنازل عن مبدإه الذي ثبت عليه طول حياته . وأنت ترى بهذا النظر ان لسيمون من حيث السياسة والعلم شركاء ونظراء ليسوا بقلائل في كل أمة مرتقية لهذا العهد وانما سمت منزلته منزلة من عداه بالاخلاق الفاضلة والتفاني في خدمة الانسانية والمدنية . عاش من شق القلم وظل كذلك طول حياته بعد ان خطبته المناصب ورقي درجات العلى ولو أسف قليلا للتنازل عن مذهبه في الاخلاق لاصبح في رئاسة الجمهورية وعد من كبار ساسة الارض كما هو من اكبرهم في العلم والعمل ولقضى حياة طيبة خصوصاً في اخريات أيامه فقد ذكروا انه كان يكتب في الصحف ليعيش بما يكتب حتى ان احدى الصحف الكبرى نشرت مقالة من قلمه كان بعث بها في خلال مرضه ليأخذ أجرتها فصدرت يوم وفاته .

يعد سيمون من مؤسسي الجمهورية الثالثة الحالية ومن أشد أنصار التكافل الاجتماعي كما يعد رأساً في الكتابة والخطابة. وكتبه ومقالاته وخطبه ومقاماته تعد بالمئات وأول كتاب نشره « الواجب » و« الدين الطبيعي » و « الحرية الدينية » و « الحرية السياسية » و « الحرية المدنية » وهذه الكتب الثلاثة الاخيرة موضوع واحد قسمه ثلاثة أقسام وأراد بها تعليم الجمهوريين وتنشئتهم على حب الجمهورية واشرابها قلوب الامة. ونشر أيضاً عدة كتب مثل « كتاب الفلسفة » و « الطبقة العاملة » و « المدرسة » و « اصلاح التعليم الثانوي » و « الوطني الصغير » و « موت سقراط والفلسفة الاسكندرية » و « المرأة في القرن العشرين » و « التعليم المجاني الاجباري » وغير ذلك من الاعمال العلمية النافعة وكلها دالة على روح فاضلة ونفس شريفة طاهرة تألم للظلم وتطمع في الاهابة بالانسانية الى حظيرة التعاضد والتكافل وتتزع الى اصلاح

حال البائسين اليائسين .

والناظر في كتبه يقرأ فيها أحسن ترجمة لحياته فقد كان على ما يظهر منها متديناً تديناً معقولا مازجته الحكمة والاعتدال فصح أن يدعى فيلسوفاً إلهياً وهو ممن نحتاج الى أمثالهم في مثل هذا القرن الذي قل الاعتدال في أهله فمن متدين غر جاهل لا يدري من أحوال العالم شيئاً ومن متعلم ينكر كل ما يقره المتدينون ويعد حطة عليه أن يتنزل الى ما لا يفيد بزعمه .

ألا أكرم برجل كسيمون بل اكرم ببلاد رفعته من حضيض قرية حقيرة كان فيها فلاحا خاملا الى منصة العلم والوزارة فصار عضواً عاملا في أمته بل اكرم بمبادىء صالحة وعلم صحيح سار على منهاجها فعف عن مالها وعاش عيشة حرية بمن يكتب في الحرية الحقيقية ويدعو الناس اليها عاش عيشة من وافق علمه عمله فكان العالم العامل والسياسي المحنك والغيور الصادق والنزيه المستقيم والحكيم العاقل . وقد كافأته أمته بان نصبت له تحت رعاية الجمهورية تمثالا في باريز خطب في الاحتفال به عظماؤهم في يونيو سنة ١٩٠٣ ورددوا أعماله وتأثيراته في عالم السياسة والعلم وأثنوا خصوصاً على طيب أخلاقه وفضيلته العملية

ملكة العربية

اللغات من أحكم الصلات بين البشر ومن أقوى عوامل النهوض والارتقاء وعلى نسبة انتشار لغة الامة يكون نفوذها في سياستها وآدابها وصناعاتها وكل أمة زهدت في لغتها أو تخلت عنها ولم تجر في ترقيتها مع الزمن تغلب على أمرها ويفنى كيانها . يقول أحد العارفين اذا استعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها . وكان نابوليون يقول علموا الفرنسوية فهي تعليمها خدمة الوطن . وباللغة قامت الوحدة الاميركية والايطالية واليونانية والالمانية والصربية والرومانية والبلغارية فنجت هذه الامم بلغاتها من استعباد عداتها .

جاء القرآن على ما فيه من قواعد التشريع والاعتبار بالامم الخالية حاوياً قاعدة من اهم قواعد العمران واعني بها الدعوة الى توحيد اللغة فقضى على كل مسلم على اختلاف الاجناس ان يتعبد بالقرآن ويتلوه بلغته الاصلية فانتشرت بذلك العربية في القاصية والدانية وأخذ ابن الصين يتفاهم مع ابن مراكش بالعربية على بعد الديار

ولقد قامت الحكومات الاسلامية على اختلاف لغاتها بهذه اللغة وجعلتها لغة دواوينها وكتبت بها رسائلها وخطبها ومراسيمها . فجعلت حكومات الفرس والديلم والترك والبربر والكرد والجركس لغة العرب لغتها ولم تخلف عن هذه القاعدة في العصور المتأخرة إلا بعض الحكومات جعلت كل منها لغة أسرتها المالكة لغة رسمية لبلادها فاستغرب هذا منها حتى خاصة أهلها كان يرجى لمصر أن تكون كعبة العربية في العهد الاخير يحج اليها الطلاب

من أقطار العالم لو جاء بعد محمد علي رأس الاسرة الخديوية من أنجز العمل الذي كان وضع أساسه وتوفر على تعهد النبتة التي غرسها وأعوانه من الافرنج في بث ملكة العربية ونقل العلوم الضرورية اليها من لغات الأعاجم ولو دامت تلك النهضة سائرة سيرها الاول لكان لمصر حضارة عربية صرفة لم تمازجها عجمة الافرنج

نعم ان تعلم لغة قوم تحببهم الى نفس المتعلم في الغالب فمن تعلم الافرنسية كان محباً للفرنسيس ومن أحكم الانكليزية شغف بالانكليز ومن شدا الالمانية أعز الالمان ولكم رأينا أوروبياً تعلم العربية فاصبح يكرم العرب ويغار على مصلحتهم وآدابهم وبلادهم ولا غيرة ابنها العربي البحت .

أقول هذا وأنا على يقين من ان لغة القرآن قد خدمها علماء المشرقيات من الغربيين اكثر من خدمة خاصتها ورؤساء حكوماتها لها فطبعوا لها من نفائس الكتب وامهاتها واقاموا لها محافل ودروساً وسافروا في تعلمها وبذلوا في سبيلها البذول منذ وجهوا وجهتهم قبل المدنية الاسلامية حتى ان اول الكتب التي طبعت بعد اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر للميلاد كانت كتباً عربية من مؤلفات ابن سينا والرازي وابن رشد وغيرهم من فلاسفة الاسلام . ودامت تلك الروح تسري في جسم الحضارة الغربية حتى صار اليوم من علمائهم المختصين بدراسة لغتنا من يحسنون التكلم والتأليف فيها إحسان خاصتنا لها رأيت منهم الاميركي والانكليزي والالماني والافرنسي والنمسوي والاسوجي والهولاندي والروسي وكلهم محل الدهشة والاستغراب وشهدت من حميتهم وغيرتهم على لغة القرآن مالا اجد بعضه عند كثيرين من خاصتنا

وليس في اهل الاسلام اليوم مثل اهل فارس عناية بالعربية وآدابها لانهم لم ينسوا فيما احسب ان تعلمها من الدين وان من ناهضها ووضع السدود في سبيل سيرها فكأنما ناهض الدين وعاق دعوته عن الانبعاث ولذلك كان تعلمها عندهم على حصة موفورة . وقد يجيد متعلمهم فهمها وكتابتها إجادة العربي القح . ولا عجب فللفرس في تاريخ النهضة الاسلامية القديمة أثر مشكور على غابر الدهور

ومع ان التعليم في مصر غدا انكليزياً والاساس الذي قامت عليه نهضة العربية في اوائل القرن الماضي ترك وبني على غيره لا تزال العربية بالنظر لوحدة اللغة في القطر ولما وقر في النفوس من ان الازهر اعظم مدارس الاسلام في الارض وان فيه جهابذة علماء ولما ينفخه فيها نوابغ البلاد المهاجرين اليها — مع كل هذا لا تزال مصر موطن العربية من هذا الشرق العربي وفيها تصدر اهم المطبوعات والصحف العربية ولا يبعد ان يكون لها شأن غير شأنها الحاضر في المستقبل القريب وان قل تخرج النوابغ من ابنائها وإحكامهم ملكة اللسان العربي الاحكام الذي يسهل عليهم التأليف والانشاء والخطابة وقرض الشعر والتمييز بين صحيح الكلام وفاسده

وكانت قويت ملكة العربية في سورية بما قام في بيروت من المدارس الكبرى منذ اربعين سنة ولما استبدلت تلك المدارس اللغات الافرنجية باللغة العربية وجعلوها لغة التدريس والخطاب عاد حب لغات الاعاجم فاستحكم من النفوس خصوصاً بعد ان ايقن كثيرون من اهل الفئة التي هي اجرأ السوريين على الهجرة للاتجار والكسب ان العربية لا يأتي تعلمها بمال يعود على صاحبه بالرفاهية فلا تنفع في الماديات نفع اللغات الاوربية لهم في ذلك .

اللهم إلا تلك الفئة الفاضلة من كتاب السوريين في أمير كا ممن أنشأوا الصحف وأخذوا يسعون جهدهم في بث ملكة اللسان العربي بين المهاجرين في مهاجرهم كما يعنى مهاجرة الالمان في الاحتفاظ بلغتهم في وسط بلاد الولايات المتحدة. قلت ان ملكة العربية ضعفت في بلاد الشام ويكفي انك تجتاز البلد والبلدين ولا تجد من يحسن الكتابة والقراءة بلا غلط بل انك لتستقري حال المئة الف نسمة في حواضر مدن الشام ولا تجد فيها خمسة يكتبون على وجه الصحة . وهكذا الحال في العراق ونجد والحجاز واليمن . وللشعر في هذه الاقطار الاخيرة اثر من الآثار القديمة اكثر من النثر ولا عبرة بالافراد فهم لا يتجاوزون عدد الانامل في هاتيك الديار التي كان يعد رجالها بالمئات في العصور السالفة . والافراد ليسوا معياراً في هذا الباب

ومن اهل الاقطار التي يعنى أهلها بالعربية على عجمتهم مسلمو قافقاسيا والهند فان تدريس العربية في مدارسهم وكتاتيبهم شائع كل الشيوع وهم معتقدون ان في تعلمها تعلم الدين . من أجل هذا رأينا كثيرين من أهل النهضة فيهم في العهد الاخير طافوا بلاد الشرق العربي للبحث عن طريقة سهلة تمكن ناشئتهم من إحكام العربية في أقرب مدة ومن أيسر السبل ولما يئس بعضهم من وجود بعض أفراد توفرت فيهم هذه الشروط من أبناء جامعتهم ليغنوا الغناء المطلوب عمدوا الى اختيار أساتذة هم في الاصل أعاجم على نحو ما فعلت كلية عليكدة في الهند وأقامت انكليزياً يعلم العربية على طريقة اللغات الاوربية تسهيلا على المتعلمين من ابنائها

وحال القطر التونسي فيما أرى من إحكام ملكة العربية حال سورية حذو القذة بالقذة ولعل الناشئة المتمكنة من آداب القوم يكثر عددها فيعملون

وجرائدهم ومجلاتهم وجمعياتهم على النظر في ترقيتها بينهم. أما الجزائر ومراكش فما إخالهما يعرفان من العربية إلا بقدر مايعرف منها أهل مالطة او اكثر بقليل. دع أهالي شنقيط فانهم أعظم أهل الارض عناية بالعربية وحفظاً لدواوين شعرائها وخطبائها فقد تجد الطفلة تحفظ من اسفار الادب ما لا عهد للخاصي به عندنا ولكن نظرهم في الادب والشعر نظر مجرد لا محل للعمل فيه . وهناك بلاد اسلامية كزنجبار ورأس الرجاء وجاوه وبعض مدن الصين وافغانستان وبخاري فانها ضعيفة في عربيتها ضعف الترك فيها

وبعد فان من رأي توفر الغربيين على دراسة العربية يكاد يوقن بان هذه اللغة لا تحيا الا على أيدي هؤلاء الافرنج فقد جعلوا لها المقام الاول بين اللغات الشرقية ولم يحسبوها من اللغات الميتة وأحيوا من مآثر الاسلاف ما يبيض الوجوه وينمي على الاخلاف وناءهم وتقاعسهم

وأقدر الامم الغربية على تلقف العربية فيما أحسب الشعب الجرماني فان فيه رجالا يلفظون ويكتبون على مثال كتاب العرب انفسهم ويليهم في باب العناية بها على ما أرى الانكليز والاميركان والنمساويون والفرنسويون والهولانديون والروسيون والطليان والاسبان . وكان الفرنسيس فيما مضى في مقدمة الامم بالاشتغال بالعربية ولا سيما في عصر العالمين دي ساسي وكاترمير فاصبحوا اليوم في وسطها

ولا يبعد اذا دام الفرنجة على تعهد هذا اللسان بطبع كتبه ودراسة أصوله وفروعه أن يهاجر ابناؤنا الى بلادهم بعد ليتلقوه عنهم اذا دمنا على خمولنا وتخلفنا . ولولا بعض كتب قديمة تحيا بالطبع اليوم لقلنا بالنظر لما نرى من ندرة المطبوعات العربية العلمية انه سيجيء يوم نأخذ فيه عن الافرنج حتى

أصول ديننا. ومن الاسف ان جماع ما ينشر من تآليفنا منذ سنين لا يتعدى الروايات والهزليات أما كتب الجد كالفلسفة والتاريخ والرياضة والطبيعة والاقتصاد والاجتماع فلا محل لها من الاعراب في جملة أعمالنا

ولعل العربية في هذه الديار لا تمنى بما منيت به في سائر الاقطار فيكثر في ابنائها المتأدبون بآدابها وان قل عدد النوابغ أي يم تعلمها اكثر مما يخص. وعندي ان الرجاء معقود على الاكثر بالمجلات والجرائد اذا صرفت العناية بانشائها واختيار موضوعاتها فهي هي المدرسة الكبرى للامة وتأثيراتها متصلة باتصال صدورها وهي تبعث على المطالعة اكثر من الكتب . وما دام القرآن يتلى بلسان العرب فسيبقى أثر له في البلاد الاسلامية كافة وتضعف ملكته الحقيقية بضعف العمل به من دراسة آدابه

الملاهي وادوات الطرب

عند الاندلسيين من العرب

ذكر المقتبس في الصفحة ٢٩٨ من هذه السنة نصاً للشقندي في أدوات الطرب التي كانت معروفة في عهد المؤلف في اشبيلية . الا ان بعض أسماء تلك الملاهي لا توجد في دواوين لغتنا ولا ذكر لها في كتب أهل الفن . ولما كنت قد كتبت رسالة في هذا الموضوع وكنت قد أصلحت فيها نص الشقندي اجابة لطلب أحد الادباء اذ ان النساخ قد أفسدوا بقلمهم ما غمض من تلك الالفاظ رأيت الآن ان ادرج هذا الاصلاح واشرح تلك الكلمات العويصة لتعم الفائدة . فأقول :

أما الخيال وهو أول أدوات الطرب التي ذكرها الشقندي فهو تمثال

معضّى تتخذه أهل اللهو في العابهم ويحركونه حركات مختلفة مضحكة بخيط أو بزنبرك خفي وهو الذي يسميه البعض بالكركوز أو العيواظ وبالفرنسية Marionnette. polichinelle قال في شفاء الغليل في مادة بابه ص ٥٠ وبابه احدى بابات الخيال اما لخيال جعفر الراقص واما لخيال الازاد . وجعفر اسم الذي اخترع الخيال الراقص . اه

والكريج (وصحيح روايته والكرج) وهي « تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة باطراف اقبيـة يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكررن ويفررن ويثاقفن » وهي من آلات الرقص (عن ابن خلدون في المقدمة ص ٣٧٤ من طبعة بيروت الاولى) وبالفرنسية يسمى الكرج Carrousel: chevaux de bois.

أما العود فمعروف فلا حاجة الى زيادة تعريفه وبالفرنسية Luth

أما الروطة فلا ذكر لها في كتب اللغة وهي معربة عن الاندلسية rota أو rotta وهي ضرب من الرباب كان يتخذها الشعراء المتجولون ليوقعوا عليها ألحانهم وأغانيهم واول من اتخذها الغلطيون . وهي بالفرنسية rote او rotte

والرباب مذكورة في معاجم اللغة فلتراجع وبالفرنسية rebec

وكذلك القانون فهو اشهر من ان يذكر وبالفرنسية Harpe

اما المؤنس فهو قربة يركب فيها مزمار يتخذها اهل البادية في ملاهيهم واغلب ما تكون في مزمارين. ولعل اللفظة من اصل اسباني يقابلها بالفرنسية Musette او Cornemuse وهذه اللفظة العربية لا توجد في كتب اللغة الا انها اليوم مشهورة في بلاد العرب بهذا المعنى

والكثيرة مصحفة عن كيثرة Cithare وهي في القديم نوع من الرباب

ويراد بها اليوم ضرب من السنطور تنقر اوتارها بالاصبع .

والقنار (وصحيح روايتها القثار) هي guitare بالفرنسية ويراد بها آلة ذات ستة اوتار ولها يد مقسومة الى انصاف الحان مركب عليها دساتين .

والزلامي : « نوع من المزمار وهو شكل القصبة منحوتة الجانبين من الخشب جوفاء من غير تدوير لاجل ائتلافها من قطعتين منفردتين كذلك بالبخاش معدودة ينفخ فيها بقصبة صغيرة توصل فينفذ النفخ بواسطتها اليها وتصوت بنغمة حادة يجري فيها من تقطيع الاصوات من تلك الابخاش بالاصابع مثل ما يجري في الشبابة » (عن ابن خلدون بحرفه في الص ٣٧٠ من الكتاب المذكور) والزلامي تصحيف الزنامي نسبة الى زنام وهو زمار مشهور كان عند هرون الرشيد يضرب به المثل في حسن صناعته . قال الشريشي : « زنام هو الذي استنبط الناي وهو المزمار الذي تدعوه عامتنا في المغرب الزلامي صحفوه بابدال نونه لاما وانما هو زنامي » . اه

اما الشقرة والنورة فقد عرفهما المؤلف نفسه بقوله : « وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه » .

والبوق ايضاً معروف . وقد ذكره ابن خلدون في المقدمة ص ٣٧٠ بقوله : وهو بوق من نحاس اجوف في مقدار الذراع يتسع الى ان يكون انفراج مخرجه في مقدار دون الكف في شكل بري القلم وينفخ فيه بقصبة صغيرة تؤدي الريح من الفم اليه فيخرج الصوت ضخيماً دوياً وفيه البخاش ايضاً معدودة وتقطع نغمة منها كذلك بالاصابع على التناسب فيكون ملذوذاً . » اه

ثم تطرق الشقندي الى ذكر اصناف الملاهي والرواقص وحسن انطباعهن وصنعتهن وانهن احذق خلق الله باللعب . ومن انواع العابهن اللعب

بالسيوف وهو معروف

والدك (وصحيح الرواية الدكر بدال مهملة مكسورة بعدها كاف ساكنة) هو نوع من الرقص او اللعب يعرفه الزنج والحبش ولا يزال الزنج في البصرة يلعبونه في عهدنا هذا وهو النوع المسمى بالفرنسية Kalenda

واخراج القرى.(وصحيح الرواية واخراج القزى بزاي في الوسط جمع قزة كعزى جمع عزة .والقزة الحية) هو نوع من اللعب يعمد المشعوذ او اللاعب الى كيس او جراب ويريه للحاضرين انه فارغ وبعد ان يتلو عليه بعض الآيات يخرج منه حيات او قزى او حبالا او خيوطاً وغير ذلك . وكل هذا من أعمال المشعوذين يستلزم خفة عجيبة ومهارة غريبة في اللاعب وربما اخرج من الكيس محابس وخواتم وحلقاً ونحو ذلك .

والمرابط . يعني واخراج المرابط وهو جمع مربط وهو ما يربط به الدابة. والمعنى واضح مما تقدم شرحه

والمتوجه . والاصح الفتوخة وهي جمع فتخة او فتخة وهي خاتم كبير يكون في اصابع اليد والرجل او حلقة من فضة كالخاتم لا فص فيها فاذا كان فيها فص فهو الخاتم . ومن ثم فيكون اخراج الفتوخ من قبل اخراج القزى والمرابط

هذا ماارد نا ايضاحه في هذا الباب حرصاً على كلام المؤلف من التصحيف والتحريف وربك فوق كل علم عليم

بغداد احمد قراء المقتبس

الفرس

معربة عن كتاب تاريخ الحضارة

دين زردشت

ايران — بين نهري دجلة والسند وبحر الخزر والخليج الفارسي صقع عظيم يعرف ببلاد ايران تبلغ مساحته خمسة اضعاف مساحة فرنسا او نزيد ولكن معظمه مجدب قاحل فهو يتألف من صحارى رمال محرقة ومن انجاد باردة قارسة تشقها اودية عميقة شجراء وتحيط بها جبال شاهقة. واذ حيل بين الانهار وجريها فهي لا تسير الا ريثما تضيع في الرمال او في بحيرات مالحة. ويشتد هواء هذه البلاد ويتقلب فيكون حرّاً في الصيف وقرّاً في الشتاء وقد يجتاز من يهبط هذه البلاد من منطقة تبلغ درجة حرارتها نحو ٣٢ تحت الصفر الى منطقة حرارتها ٤٥ سنتغراداً بمعنى ان تلك البلاد جمعت الى بردسيبيريا حرارة السنيغال. وهناك تعصف الرياح الزعازع فتفعل في الاجسام فعل الحسام. بيد ان الاودية وضفاف الانهر مخصبة منبتة. وهذه البلاد هي ولا جرم مصدر الدراق وشجر الكرز ومستنبت الثمار والمراعي

الايرانيون — سكنت بلاد ايران قبائل من الآريين (١) (القاطنين بلخ اي بكتريا وهي الوطن الاصلي للجنس الآري) كانوا كسائر ابناء هذه البلاد جنساً من الرعاة المتحاربين. ولقد كان الايرانيون يقاتلون على ظهور الخيل ويطلقون السهام ويلبسون البسة من الجلد يجعلونها وقاية على ابدانهم من هواء بلادهم الشديد.

زردشت — عبد الايرانيون اولا ما عبده قدماء الآريين من قوى الطبيعة وخصوصاً الشمس «ميترا» وقام بين اظهرهم حكيم اسمه زردشت (مه اباد وله كتب كثيرة منها ما له علاقة بالشريعة ثم ظهر زردشت واصلح هذا الدين) ويدعوه الافرنج زرواستر فاصلح ديانة الايرانيين بين القرن العاشر والسابع قبل الميلاد ولم يبلغنا من اخباره غير اسمه، الزاندافستا (الزندو بازندوافستا) — لم يبق شيء مكتوب يؤثر عن زردشت ولكن تعاليمه المؤلفة بعده بزمن طويل قد حفظت في الزاندافستا اي الشريعة والاصلاح وهو كتاب الفرس المقدس. وقد كتب هذا السفر بلغة قديمة لم يفهمها اتباع هذا المذهب انفسهم ودعوناها

---

(١) ما كان في هذا الفصل بين هلالين هو في الغالب من املاء العالم الدكتور مرزا مهدي خان زعيم الدولة ورئيس الحكماء صاحب جريدة حكمت الفارسية الغراء بمصر واليه رجعنا في تصحيح بعض الاعلام.

اي الافريج بازند » وكانت تنقسم على ماورد في اسطيرهم الى احدى وعشرين نسخة كتبت على اثني عشر الف جلد ثور ضمّ بعضها الى بعض باسلاك من الذهب وابادها المسلمون لما فتحوا بلاد فارس واحتفظت بعض اسرات ايرانية بتعاليم زردشت واختصوا دينهم له فلجأوا الى بلاد الهند فحفظ فيها اخلافهم المدعوون بارسيس تلك الديانة القديمة. وقد وجد عندهم سفر تام من الزاندافستا وقطع من الكتابين الآخرين

اورمزد «هرمز وهرمس» واهريمن «رمز الى العقل والنفس وعند العامة اله الخير والشر» هذه ديانة زردشت على نحو ما ورد في تلك الكتب الا ان هرمز الذي يدعوه الافرنج اورمزد وهو الديان الذي لا يخفى عليه شيء خلق العالم والقوم يصفون له بهذه الالفاظ: ادعو الخالق هرمز واحتفل بشعائره فانه النور والضياء عظيم رحيم كامل شهم ذكي جميل سام طاهر يعرف العلم الصحيح مصدر اللذة وهو الذي برأنا وصورنا واطعمنا » واذ كان على جانب من الصلاح لم يخلق الا ماهو كذلك وما يرى في العالم من شر فقد برأه رب الشر انكرامانيو اي روح العذاب وندعوه اهريمن (وديو اي شيطان)

الملائكة والشياطين ـ يقف اهريمن الشقي المخرب قبالة هرمز الباري الحليم ولكل منهما طائفة من الارواح فجنود هرمز هم الملائكة المطهرون « يازاستا » وجنود اهريمن شياطين خبثاء (ديو) و يسكن الملائكة في الشرق في ضوء المشرق والشياطين في الغرب في ظلمات الشفق وكلا الجيشين لا يزالان في حرب دائمة والعالم ساحة قتالهما لان كليهما حاضر في كل مكان فيسعى هرمز وملائكته الى الاحتفاظ بالخلق واسعادهم وصلاحهم و يطوف اهريمن وشياطينه حولهم لاهلاكهم وسوء طالعهم وطلاحهم

خلائق هرمز واهريمن ـ كل حسنة في الارض هي من صنع هرمز وتستخدم للخير فالشمس والضياء اللذان يطردان الليل والكواكب والشراب المخمر الذي يتراءى كأنه ضوء سيال والماء المروي للانسان والحقول المزروعة التي تغذيه والاشجار التي يستظل بها والحيوانات الاهلية والكلب والطيور منها خصوصا ما يعيش منها في الضوء ولاسيما الديك لانه يبشر بالنهار هذه كلها برأها هرمز. وعلى العكس ينبعث كل ما يضر من اهريمن فيكون شراً مثل الليل والجفاف والبرد والقفر والنباتات السامة والشوك والحيوانات الكاسرة والافاعي والحلمات الطفيلية (كالبعوض والبراغيث والبق) والحشرات التي تعيش في الجحور المظلمة كالضبان والعقارب والضفادع والجرذان والنمل ـ وهكذا تنبعث الحياة والطهارة والحقيقة والعمل وكل ما حسن في عالم الاخلاق من هرمز. والموت والقذارة والكذب والكسل وكل ما خبث وساء ينبعث من اهريمن

العبادة ـ مصدر العبادة والاخلاق من هذا الاعتقاد فعلى المرء ان يعبد رب الخير (١) ويناضل عنه . يقول هيرودتس : ان من عادة الفرس ان لا يقيموا هياكل ومعابد ومذابح للارباب و يعدُّ من أتى ذلك كافراً بالنعمة لان هذه الامة لا تعتقد اعتقاد اليونان من ان للارباب صورة على نحو صورة البشر . وان هرمزليبدو بهيئة النار او الشمس ولذا يحتفل الفرس بعبادتهم في الخلاء على الجبال امام موقد مشتعل فينشدون الاناشيد تمجيداً لهرمز ويذبحون له الحيوانات (كذا) دليلا على عبادته

الاخلاق ـ ناضل الانسان عن هرمز محسناً لعمله مقبحاً لعمل اهرمن فيجاهد في الظلمات وهو يمد النار بالحطب الجاف والعطور ويجاهد في القفر بحرث الارض وابتناء البيوت ويجاهد حيوانات اهرمن بقتل الحيات والضباب والحلمات الطفيلية والحيوانات الكاسرة ويجاهد الدنس وذلك انه يتطهر ويدفع عنه كل ما مات وخصوصاً الاظافر والشعور وحيثما وجدت الشعور والاظافر المقصوصة فهناك يجتمع الشياطين والحيوانات القذرة . ويجاهد الكذب جارياً على قدم الصدق . قال هيرودتس ان الفرس يستقبحون الكذب وهو عندهم عار وسبة كما انهم يكرهون الاستدانة لان المديون يكذب بالضرورة . ويجاهد الموت وذلك بالزواج والاستكثار من الولد . جاء في الزاندافستا ما اقبح البيوت التي حرمت من النسل والذراري

الجنائز ـ متى مات الانسان تعود جثته الى رب الشر ولذلك يقتضي انقاذ الدار منها لا باحراقها فانها تنجس الدار ولا بدفنها فانها تنجس الارض ولا باغراقها فانها تنجس الماء ومن فعل ذلك فيكون قد تلطخ بجأة القذارة ابد الدهر . وطريقة الفرس في دفن موتاهم تختلف عن غيرهم من الامم فيجعلون الجثة في مكان عال مكشوفة جبهتها نحو السماء مثقلة باحجار ثم يركضون الى الفرار خشية من الشياطين لانها تجتمع بزعمهم في اماكن الدفن حيث مأوى المرض والحمى والقذارة والرعب والشعور القديمة وعندها تجيء الكلاب والطيور وهي من الحيوانات الطاهرة فتطهر الجثة باقتراسها

مصير الارواح ـ تنفصل روح الميت عن جسده وفي اليوم الثالث من موتها يؤتى بالروح على الصراط (شنيواد) المؤدي الى الجنة ماراً فوق هاوية جهنم فيسأل هرمز الروح عندئذ عن حياتها السالفة فان كانت محسنة تعضدها الارواح الطاهرة وارواح الكلاب وتأخذ بيدها لاجتياز الصراط ويدخل بها الى مقام السعداء (برودس اي فردوس)

---

(١) ان بعض زنادقة الفرس لعبدنا (هم في ارض الجزيرة) يعبدون رب الشر على عكس ذلك ويذهبون الى ان مذهب الخير ما كان في ذاته صالحا ورحيماً لا حاجة ان يخضع الله ويتقرب اليه بانواع القربات وتدعى هذه الطائفة اليزيدية (عبدة الشيطان) فالله المؤلف

فيهرب الشياطين لانها تجافى عن روح الارواح النقية اما روح الشرير فتصل على العكس من ذلك الى الصراط ضعيفة مرتجفة لا يأخذ احد بيدها ويلقي بها الشياطين في اهاوية ويتناولها روح الشر ويقيدها في قعر الظلمات .

طبيعة الديانة المزمزية او المزمنية المزدية ـ نشأت هذه الديانة في بلد يشتد فيه الاختلاف والتناقض ففيها الاودية الباسمة بزرعها والاراضي البائرة المحزنة والواحات الرطبة والقفار المحرقة والحقول والسهول الرملية بحيث تتراءى قوى الطبيعة فيها كأنها في حرب عوان ابداً . وهذا الجهاد الذي يثل للفارسي فيما يحيط به قد اتخذه شريعة للعالم . وهكذا تألفت ديانة خالصة من الشوائب تدفع بالانسان الى العمل والفضيلة على حين قد انتشر هذا الاعتقاد بالشيطان والجن في الغرب وشغل شعوب اوربا كافة بالاوهام

المملكة الفارسية

الماديون (١) ـ سكنت بلاد ايران عدة قبائل ولم يشتهر من بينها سوى الماديين والفرس خيم الماديون في غرب بلاد فارس وهم اقرب الى الاشوريين ولذلك كان على ايديهم خراب نينوى وبلادها « ٦٢٥ » ولكن لم يلبثوا ان استغرقوا في الترف وانشأوا يتخذون ثيابا مسدولة ويألفون البطالة ويعتقدون اعتقادات خرافية شأن الاشوريين الساقطين وما زالوا على ذلك حتى امتزجوا معهم اي امتزاج

الفرس ـ اما الفرس فكانوا في الانحاء الشرقية (والجنوبية) واحتفظوا باخلاقهم وديانتهم وشدتهم . يقول هيردتس : ان الفرس لا يعلمون اولادهم الى سن العشرين غير ركوب الخيل ورمي النشاب وقول الصدق .

فورش اوسيروس اوكيخسرو ـ قام رئيسهم فورش حوالى سنة ٥٦٠ وخلع ملك المديين (الذي هو جده لامه) وجمع تحت لوائه شعوب ايران كافة ففتح بهم ليديا وبابل وجميع بلاد آسيا الصغرى . ويروى لهذا الملك قصة فصلها هيرودتس في تاريخه تفصيلاً شافياً قال انه دعا نفسه في بعض مازبره على الاحجار بقوله انا فورش ملك الكتائب والعظمة والاقتدار انا ملك بابل وسومير واكاد ملك الاقاليم الاربعة وابن كمبيز (كيكاوس اوسلطان سوزيان وسوم بيستون ـ اهلك كمبيز بكر اولاد فورش اخاه سمرديس وفتح مصر (على قول اليونان) علما ذلك مما اتصل بنا من الرسم الذي مثل فيه ذلك ولا تزال ترى الى اليوم في تخوم الفرس

(١) (بلاد مادي يسميها العرب بلاد الجبل والعراق العجمي وازربايجان واسترابد اي ولايات فارس وكرمان ومكران اي بلوجستان وخراسان)

وسط سهل الفج صخرة هائلة نحتت نحتاً عمودياً علوها ٤٥ متراً وفي صخرة بيستون وهناك حروف ناتئة على الحجر تمثل ملكاً متوجاً ويده اليسرى على قوس وهو يدوس اسيراً وتسعة اسرى آخرون واقفون امامه وقد قيدهم بنفسه . وكتبت ترجمة حياة الملك في رسم بثلاث لغات نقد اعلن الملك داريوس « دارا » ذلك فقال : هذا ما قمت به قبل ان اغدو ملكا فقد كان كمبيز بن قورش من بني جنسنا يحكم هنا قبلي وكان له اخ لابيه وامه واسمه سمرديس فقتل ذات يوم كمبيز اخاه سمرديس ولا علم للقوم بما جنته يداه . ثم وجه كمبيز وجهته نحو مصر وبينما هو نازل فيها ثار به الشعب وكان قد اصبح الكذب مألوفاً اذ ذاك في تلك البلاد وفي بلاد مادي وسائر العملات فقام موبذان « ١ » كان حاضراً اذ ذاك اسمه غوماتا وخدع الامة بقوله : انا سمرديس بن قورش وعندئذ انتقض الشعب اجمع وانصرفوا نحوه متخلين عن كمبيز . ثم قضى كمبيز نحبه بجراح جرح نفسه به وبعد ان اتى غوماتا ما اتى من هذه الحيلة واستلب من كمبيز بلاد الفرس ومادي وسائر الاقطار جرى في الخطة التي شاءها فصار ملكاً على هذه البلاد وحاكماً متحكماً في اهلها . فخافه الشعب لظلمه وكان لا يستنكف من قتل الامة عن بكرة ابيها لئلا تنكشف حيلته ويعرف القوم انه لصيق بسمرديس بن قورش ودعي في نسبه وقد اظهر ذلك داريوس هذه الخديعة ولم يكن احد في بلاد الفرس ومادي يجرأ على استرجاع تاج الملك من هذا الموبذان غوماتا . قال دارا بعد ان قدم ما سلف وعندئذ تقدمت ودعوت الرب هرمز فاعانني بالتوسل به وكان في صحبتي ناس ذوو اخلاص وصدق فاعانوني على قتل غوماتا وخاصة رجاله فاصبحت ملكاً بمشيئة هرمز واستعدت الملك الذي كان بنو قومنا سلبوه وارجعته الى حوزتي واخذت اعيد المذابح التي طوى بساطها الموبذان غوماتا وذلك لاني كنت مخلصاً للامة واعدت الاناشيد والاحتفالات المقدسة الى سابق عهدها . واضطر دارا بعد ان ضرب ذلك الدخيل غوماتا ضربة قاضية ان يقاتل عدة زعماء ثائرين فقال لقد قاتلت تسع عشرة مرة وغلبت تسعة ملوك

المملكة الفارسية — علم يتامغى ان دارا اخضع المملكة المختلسة واعاد مملكة الفرس وقد وسع نطاقها بفتح تراس « تراثيا وهي اليوم بلاد البلغار والروملي » وولاية من الهند . وكان ينضم تحت لوائه شعوب الشرق اجمع من ماديين وفرس واشوريين وكلدانيين ويهود وفينيقيين وسوريين وليديين ومصريين وهنديين فكان سيف سطوته يحمي الاصقاع الواقعة بين نهر الدانوب « الطونة » غرباً ونهر الاندوس (السند) شرقاً وبين بحر الخزر شمالاً الى شلالات النيل جنوباً . مملكة لم يعهد لها مثيل في الضخامة (١٢٠ مملكة) بيد ان قبيلة جاءت بعد

(١) (موبذ موبذان اي رئيس الكهنة)

واستولت على تركة الممالك الآسيوية بأجمعها

اقبال الفرس ـ فما يعنى ملوك الشرق بامر رعاياهم الا ليستنزفوا اموالهم ويتمتعوا في سبيل سلطانهم ابناءهم وبناتهم مديحهم وثناءهم وما قط اخذوا انفسهم بالنظر في شؤون من يحكمونهم . وكان شأن دارا (١) في هذا المعنى شأن سائر ملوك الشرق ترك كل قبيل في بلاده يحكم نفسه على ما يشاء ويشاء هواه محتفظاً بلغته ودينه وشرائعه واحياناً برؤسائه وسادته من قبل . على انه كان يعنى بتنظيم دخل المملكة الذي يتقاضاه من رعاياه فقسم بلاده الى عشرين (٢) حكومة سماها امارة . وكان في كل حكومة شعوب مختلفة كل الاختلاف سواء كان بلغتها او بعاداتها ومعتقداتها وكان على كل حكومة ان تؤدي مسانهة خراجاً معيناً بعضه نقد « ذهب وفضة » وبعضه غلات ونوابج « قمح وخيل وعاج » فيتقاضى حاكم كل مقاطعة او قبيلها ممن وسد اليه امرها الخراج ويبعث به الى مولاه الملك

دخل المملكة بلغ مجموع دخل الملك ثمانين مليوناً بسكة زماننا ما عدا خراج الغلات . واذا اعتبرنا قيمة النقود في ذاك العصر فانها تعادل ستمائة مليون جنيه (؟) في ايامنا . وكان الملك ينفق هذا على حكومته وجيشه وخاصته ويذخر قصره ويبقي عنده كل سنة سبائك عظيمة من العين يدخرها في صناديقه وكان ملك الفرس مثل سائر المشارقة يرى امتلاك الكنوز العظيمة من دواعي الابهة والتمجد

السلطان الاعظم ـ لم يكن في العالم اغنى ولا اقدر من ملك الفرس فقد كان اليونان يدعونه السلطان الاعظم . (ملك الملوك شاهنشاه) وكان له كسائر ملوك الشرق سلطة مطلقة على رعاياه كافة فرساً كانوا ام غيرهم من سائر الشعوب الخاضعة لعرشه . وانت ترى فيما ذكره هيرودتس كيف كان كمبيز يعامل اعظم سادات قصره : سأل يوماً بريكستاسب (بري كشتاسب اي روح العظمة) وكان ابنه يسقيه ماذا تقول الامة في امري ؟ فاجابه : مولاي انهم يثنون على محامدك اطيب الثناء ولكنهم يذهبون الى ان لك ميلاً قليلاً للخمر

---

١ (هو ابتدع طريقة البريد وتجنيد العشرة والمئات والالوف الخ وجعل لكل مملكة حاكماً مدنياً وحاكماً عسكرياً وجعل كلا عيناً على صاحبه يرسلان اليه بتقاريرهما في اسبوع)

٢ قال المؤلف ذكر هيرودتس عشرين حكومة وقد عثر في الرسوم المزبورة على احدى وثلاثين حكومة قال مرزا مهدي خان الظاهر ان هذا الالتباس في تقدير الاعداد جاء من ان ممالك هذا الفاتح العظيم كانت منقسمة ثلاثة اقسام منها مملكة مادي والفرس الخاصة وما بقي منها قسمان قسم استعماري وقسم استملاكي

قال كمبيز وقد استشاط غضباً من هذا : اعلم اذا كان الفرس يقولون حقاً وصدقاً . فاذا انا رميت بسهمي قلب ابنك الذي تراه واقفاً أمامك في هذا البهو فذلك ان الفرس لا يعرفون ما يقولون . وما هو الا ان اعد قوسه وضرب ابن بريكستاسب بفرة الفتى صريعاً فجاءه الملك ينظر اين اصابه سهمه فرآه قد اصماه ومزق حشاه . فاستفز السرور الملك وقال لوالد الغلام وهو ضاحك : لقد رأيت بهذا ان الفرس قد اضاعوا رشدهم فقل لي هل عهدت أحداً يطلق السهم اطلاقي له فيصيب الغاية على ما رأيت من الرشاقة . فقال بريكستاسب لا اعتقد ايها المولى انه في وسع الرب نفسه ان يرمي النبال مثلك في الدقة والاعتدال

اعمال الفرس — ادى شعوب آسيا في كل دور من ادوارهم جزية للفاتحين وخضعوا للظالمين والغاشمين فنفعهم الفرس كثيراً بان كفوا بعضهم عن مقاتلة بعض وازالوا من بينهم اسباب الشحناء وذلك لانهم اخضعوا كل الشعوب لرئيس واحد . وكان عهدهم عهد سلام لم تعهد فيه مدن تحرق ولا ديار تخرب ولا سكان تذبح او تؤخذ زرافات وافواجاً لتستعبد

مدينتا سوس و برسوبوليس(١) — عني ملوك الماديين والفرس باقامة القصور على نحو ما كان يقيم ملوك اشور . واحسن ما اتصل بنا خبره من تلك القصور قصور دارا في سوس و برسوبوليس وقد حفر المسيو ديولافوا الافرنسي خرابات سوس فعثر فيها على نقوش وقرامد مزينة بالمينا تبين ارتقاء الصنائع اذ ذاك وقد بقيت من قصر البرسوبوليس خرائب عظيمة وقد نحت في صخر الجبل سطح عظيم قام عليه القصر وهو يوصل اليه بسلم واسع بانحدار قليل بحيث كان يتأتى لعشرة فرسان ان يصعدوه معاً

النقش الفارسي — حذا نقاشو الفرس حذو الاشوريين في اقامة قصورهم فنجدها في برسوبوليس كما نجدها في بلاد اشور سقوفاً متسعة السطوح يحرسها اسود من الحجر والنقوش الناتئة تمثل صيوداً واحتفالات . وقد احسن الفرس في اتمام نموذجاتهم في ثلاثة اشياء وذلك بان استعملوا الرخام عوضاً عن القرميد وجعلوا في الردهات سقفاً بالخشب المصور وانشأوا اعمدة خفيفة على شكل جذوع الاشجار في اقصى ما يعلم من الحذاقة واللطف وهي اعلى من محيطها باثني عشرة مرة . ولذلك جاءت نقوشهم اجمل اثراً واوقع في النفوس من نقوش بلاد اشور . ولما نجح الفرس في الصنائع و يظهر انهم كانوا احشم شعوب ذاك العصر

(١) (سوس في ولاية ششتر هي التي ظهرت فيها شريعة حمورابي و برسوبوليس هي صخر في ولاية فارس بالقرب من مدينة شيراز)

واطهرهم واشجعهم وكانت وطأة حكمهم في آسيا مدة قرنين اقل جوراً مما عرف من ضروب الحكومات وكانوا اميل الى الرفق بمن يحكمون

خواطر سائح

لا نخال احداً من الناطقين بالضاد يجهل مكانة الاستاذ العلامة الشيخ عبد المحسن الكاظمي البغدادي نزيل القاهرة ورسوخ قدمه في الشعر بعد ان حمل المؤيد والمنار قصيدته العينية الشهيرة الى الاقطار التي يتكلم اهلها بالعربية ولقد اتحفنا حفظه الله بالقصيدة الآتية ارسلها الى صديق له جواباً عن قصيدة وقد ضمنها ما رآه واختبره في رحلته من ابوشهر احد الثغور الفارسية الى القاهرة وهي كما يراها قراء المقتبس تصورات عصرية باسلوب بدوي متين وسبك محكم رصين وهذه هي :

جوىً اودى بقلبك ام وجيبُ ... غداة حدا بك الحادي الطروبُ
بعدت عن الديار وصرت تدعو ... على البعد الديارَ ولا تجيب
رحلت وأنت للعلياء صاد ... تحوم على الموارد او تلوبُ
وخلفت المنازل آنساتٍ ... سروب الغيد تتبعها سروب
تشق حشاك من كلف عليها ... وتأنفُ ان تُشقَّ لك الجيوب
وتسحب كالأنيس فضول برد ... وفي بردينك ذو شجن كئيب
تشدُّ الرحل من بلد لاخرى ... وما لمناك من بلد تصيب
وتبلو الناس فرداً بعد فرد ... وما في الناس الاَّ ما يريب
كأنك ترود مرعى كل انس ... ومرعى الانس في الزور اخصب
وفي مصرٍ اراك وانت لامٍ ... وقلبك في العراق جوىً يذوب
فكم والىَ تنجب ثم تبكي ... ولا يجدي البكاء ولا النحيب
وتشرب ماء جفنك وهو ملح ... وورد بالحمى عذب شروب
كأن الدمع ينطف وهو قانٍ ... عصارةُ كرمة والجفن كوب
دع الانفاس تصعد محرقات ... وخل الدمع من حَلَقٍ يصوب
لقد بان الخليط فلا خليط ... وقد بعد الحبيب فلا حبيب
فلا تتكلفنَّ ليَ التصابي ... ولا تسم الحشا ما لا يثيب

فلا «حلوان» في عيني تحلو ولا طيب «الجنينة» لي يطيب
وما في ذا الحمى لي من حميم بصحبته ألذ واستطيب
ورب اخ رماه البين عني بعيداً وهو من قلبي قريب
اناديه ولم ارَ من اناديـ واسأله النوال فلا يجيب
اقول له وقد احصى ذنوبي من الحسنات ان تحصى الذنوب
يعاتبني وقلب الحرّ ادرى بما تطوي الاضالع والجنوب
ويزعم انني ثمل طروب وما انا ذاك الثمل الطروب
أخيّ أعر مناديك ابن سمع يصيخ الى الدعاء ويستجيب
عساك ترد من ذا العتب عني لنفسك او الى العتبى تثوب
اراك ارتبت من حالات نفسي وما في النفس من حال يريب
اعد نظراً تجد عذري صريحاً وعـذر المرء آونة مشوب
فما كانت قطيعتنا جفـاء فيوهم ظنك الحلم انكذوب
فكن مني على ثقة وحوّل ظنونك ان بارقها خلوب
فما انا مَن تغيره الليالي وتثنيه الحوادث والخطوب
ينوب بهاك لي عن كل حسن وما عن حسن وجهك من ينوب
اذا ما عنّ ذكرك لي تنزّت له كبدي وطار بها الوجيب
اعيذك من جوى شبت لظاه بينك واستمرّ لها الشبوب
وأشفق ان ابثك بعض مابي وبعض الغيب يعلمه اللبيب
اؤمل اوبة مما تقضى واعلم ما تقضى لا يؤوب
فكم عبثت بنا نطف التصابي ومالت للقبول بنا الجنوب
فبينا تجمع الشمل الاغاني اذا بالشمل فرقه نعيب
بنفسي ما بنفسك يوم شطت (ابو شهر) وسرت ولا صحيب
اقمنا برهة والفجر طفل بطلعته قرون الليل شيب
وسرنا والهموم لها انسياب علينا والظلام له دبيب
وعجنا راكبين اليم فلكاً وهل اغنى الفوارس ذا الركوب
بواخر من بنات الماء شماً على هام السحاب لها صحوب
تحلق كالعقاب بنا وتهوي هويّ الطود او هتهُ الخطوب
ولم يرع الحشا منا ومنها صعود بالعواصف او صبيب

تكفُّ الموجَ وهو بها محيط ... نزاع النفس لاقتها شعوب
ومن عجب على الامواه تطفو ... وبين ضلوعها ابداً وجيب
بلغت بها قرارة كل بحر ... بعيد القعر لؤلؤهُ رطيب
هنالك شمت لألاء اللآلي ... ولم تعبث برونقها الثقوب
وجزت به اقاصي كل ثغر ... تسيب به المخاوف ما تسيب
وظلت اجزّ لمة كل ليل ... له الولدان من هول تشيب
وارضٍ جزتها من بعد ارض ... سباسبها المريعة والسهوب
اعوج بحارها طوراً وطوراً ... اجوب من المواميِ ماأجوب
الى ان قادني املي لمصر ... قياد الجامحات وهنّ لوب
وجاذبني اليها الشوق حتى ... سلست وراض مصعبي الجذيب
اذا بالنيل زرقاق الحواشي ... قريب النيل جارفه عزيب
اذا ما سال سال بكل شعب ... وسالت في اباطحه الشعوب
كأنّ عليه من ذهب مذاب ... مزيج باللجين ولا مذيب
وما احلى «الجزيرة» من محل ... ترفّ على جوانبه القلوب
تحفّ بها رياض طيبات ... يطيب بنشرها الارج المطيب
عليها تصدح الورق ارتياحاً ... ويشدو في رباها العندليب
واقفيت البلاد طفت خمولاً ... ودب باهلها الكسل الدبيب
واسواق البطالة عامرات ... ووادي الموبقات بها عشيب
وفيها من سمات الخصب لفظ ... يفاه به ومعناه جدوب
وماء العز ادركه نضوب ... بها او كاد يدركه النضوب
بقاصمة الفقار رمى قراها ... ولما يخطها الرامي المصيب
وهل ابقى لها الا بقايا ... حثاً بليت كما بلي الشعيب(١)
فلا ينفك ينبيها وكل ... بها من حيث لا يدري نهيب
فقمت مغاضباً شعباً فشعباً ... وكل جوارحي منها شعوب
ابا اهل الحمية كيف اضحى ... حماكم وهو من عزّ حريب
اليس الشرق بالاشراق احرى ... واجدر منه بالغرب الغروب
فما لطنوبكم قصرت وطالت ... من الغربي فوقكم طنوب

(١) القربة البالية

تطول جبالكم منها الروابي وتعلو هامكم منها العجوب
رضيتم بالقعود على الدنايا ومنهجكم الى العليا لحيب
ترومون الفخار على الاعادي وعن خطط الفخار لكم نكوب
وترجون الخلاص من احتلال وعار الاحتلال بكم لصيب
كما يرجو الفريس خلاص نفس وقد علقت من الاسد النيوب
اتيت لاستطب فزاد سقمي وقد يفضي الى الداء الطبيب

لها بقية

النشوء العقلي والاجتماعي(١)

في مصر

اخذ التقدم يرتقي في مصر بعد ان كانت مثل جميع البلاد الاسلامية لقلة العلم والزهد في معاناة الحياة التجارية تقول ان الحياة الدينية والمدنية شيء واحد وان في القرآن والسنة احكام الحياتين وفي مضامينها جميع القوانين. اما الاديان السماوية الاخرى فقد رأت من الضرورة الفصل بين السلطة الزمنية والروحية ولم يتسن للاسلام ان يشذ عن هذا القانون. ومن تأمل ما جرى في مصر منذ خمسين سنة فقط وقاس ما نتج من دخول التمدن الى هذا القطر خلال هذه المدة يدرك بان النشوء يكون على اتمه بعد قليل وان هذا التغيير يجري تحت طي السكون جارياً في مجراه الطبيعي من دون اكراه ولا اعنات. ومع هذا ظن كثير من المفكرين بان البلاد الاسلامية تبقى بعيدة عن التمدن. حملهم على هذا الظن ما رأوه من شدة تحمس المسلمين لدينهم وخضوعهم لما امر به القرآن خضوعاً اعمى

وحجة اهل الاسلام في هذا الباب ان التمدن الاسلامي لما كان منتشراً اكثر من غيره كانت العقائد سالمة لم تمس وراسخة لم تزعزع الا انه يقال لهم ان علماء العرب في تلك العصور لم يكونوا يدرسون سوى علوم مقررة قام بها تمدن الشعوب الاخرى ولم يقتربوا من الكتب التي حوت علوماً غيرها اومن المصنفات الادبية والصناعية التي تفتح على العقل باباً جديداً.

(١) عربت لجريدة الظاهر اليومية ثلاث مقالات وردت في جريدة الديبيش كولونيال الفرنسوية بقلم الدكتور جورج بك سمنة فاشار بعض الفضلاء ان انقل للمقتبس ماله علاقة بموضوعه منها تحفظ ذكرى نافعة لمن كتبت لهم

على ان التمدن العربي لم تعهد له طفولية اذ ولد كاملاً وبلغ رشده في قرنين فكان من الاسلام كما كان من سائر الاديان ان عدّل من امتداد تأثيرات الذكاء وتقهقره في آن واحد وذلك مما لا يتأتى ان يجدد اليوم عهده . لان تحاكك البلاد الاسلامية بالعنصر الاوربي وانتشار العلم وضروريات الحياة الجديدة ستؤدي ولا جرم الى تحرير العقول من قيودها وتنتهي بفصل السلطة الدينية عن السلطة الزمنية لامحالة على نحو ما نرى من سرعة النشوء الذي بدأ الآن يظهر في مصر آخذاً نحو المدنية الحديثة .

ومما لا شك فيه ان الاسلام بعيد ان يضمحل الآن بل انه على العكس ينتشر ويزداد اشياعه ويتجدد له انصار حتى في اوربا واميركا حيث تجدله الآن طوائف من المسلمين ولكن هذا السير سيكون ابطأ من ذي قبل ويقوم المسلم بفروضه الدينية سراً . ثم يكون للمسلم كما للمسيحي لعهدنا حياتان احداهما ظاهرة والثانية باطنة ولا تكون الثانية سبباً في التشويش على الاولى . يقول المسيو هوداس « من علماء المشرقيات من الفرنسيس » ان المتعلمين يجبون ان يريحوا عقولهم بعض الراحة وذلك بان يتناسوا ان لهم عقولا . ولذلك تبقى الاديان الرئيسة في اوربا سنين كثيرة بعد على حالة ملائمة بعض الملائمة

فنشوء الجنس الاسلامي لا منقاص من وقوعه لانه يجري بطبيعة الحال والدين لايكون عائقاً له في بادىء الامر لان جميع الديانات في الاصل تعمل كأنها اعنة تحول دون كل تقدم على ان اليهودية والنصرانية اللتين لهما تعاليم ضيقة وهما اقل حرية من الدين الاسلامي لم يحولا دون نشوء الاجناس الاوربية .

يمثل الاسلام صورة مجتمع ديمقراطي فلا يعوقه عائق من سلطة الاشراف ولا عائق من سلطة رجال الدين ولا عائق من البابوية اى ليس فيه رئاسة دينية . وهذه العوائق هي من الاسباب المؤخرة فلا يخشى منها ان تؤثر في نشوء العنصر الاسلامي

ومنذ سقوط الدولة العباسية اصبح الخلفاء لا يجمعون في شخصهم وحدهم بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية « الدينية والسياسية » واخذت الشعوب الاسلامية تنمو وتنتشر في اطراف العالم بامره ولا تخضع لسلطان واحد

ولقد عرف التعصب في جميع الاديان واعني بالتعصب ذلك الاحساس الذي يحمل صاحبه على الجهاد دفاعاً عن دينه وحفظ التاريخ حوادث هائلة من هذا القبيل لكل طائفة من طوائف اهل الاديان وردد ما سكرت به من حب الغلبة وبسطة السلطان امة الاسلام فعلى العكس من ذلك ظهرت فيه مظاهر التسامح اكثر من غيره مما يرجع الفضل فيه الى اسباب خاصة بالاقليم الذي قامت في وسطه تلك الديانة او هو خاصة من خواص

العنصر الذي دان بها

وكان الداعي الى المذابح التي أُهرقت فيها الدماء في هذا الدور الجديد من الهجرة بواعث سياسية لا بواعث دينية . والدليل على ذلك انك تجد في الشرق عناصر مسيحية كما فيه عناصر اسلامية وترى فيه الجامع مجاوراً للكنيسة والمسلم يعيش مع المسيحي وصلاتهما حسنة ومنافعهما متبادلة . وليس في الشرق ما يعد خطراً على نشوء الامة الاسلامية السريع سوى جهل السواد الاعظم ممن لم يرزقوا حظاً من الذكاء يكفي لتكبير عقولهم فيراقبون اعمال رؤسائهم مراقبة فعالة ويعارضون اذا دعت الحال الى معارضة سوء استعمال الاحكام

ونذكر من الاسباب التي تؤخر سير التقدم الى الامام قلة الاتفاق بين المصري المسلم والمصري غير المسلم . فان الاول لا يعترف للثاني بان يقول عن نفسه انه مصري ويزعم ان مصر له دون غيره . نعم ان المسلمين اكثر عددا ولكن المسلمين مع غير المسلمين في مصر من حيث التهذيب العقلي ومن حيث وجود طبقة عالية يكادون يتعادلون ويتوازون وكذلك نفوذ الطائفتين وتأثيراتهما . واقول هذا وانا على يقين من ان التعصب الاسلامي غير ممتد الرواق في مصر بحيث يحول دون سير المسلمين نحو الارتقاء واذا فرض وجوده بقوة التقاليد فالتربية تكفي لازالته .

قلت ان الاسلام بعيد عن ان ينافي التمدن بل هو على العكس دين يسمح لمتحله ان يقصد الى الارتقاء مطلق الحرية والتصرف . ومن المعلوم ان المسلمين ليسوا تابعين لامام واحد وانه ليس من ضرورة في الدين ان يتبعوا خليفة واحداً يتولى السلطة السياسية والسلطة الدينية فتوسيد الامر الى رجل يجمع بين السلطتين متعذر في الاسلام . واني لاعرف من الانكليز والاميركان من دانوا بالاسلام فما عاقتهم وطنيتهم الانكليزية والاميركية عن التفاني في نصرة دينهم الجديد فتراهم خاضعين لحكوماتهم ونظامات أمتهم عاملين بشعائر الدين الذي انتحلوه

كان للعلم مقام جليل بين المسلمين بحيث كان من يعرف القراءة والكتابة يعد من الطبقة الراقية ويحترمه الناس ويبجلونه . وليس لرجال الدين عند المسلمين واعني بهم العلماء والائمة ما لامثالهم عند اهل النصرانية . بل تؤلف تلك الفئة في الاسلام من جميع الناس على السواء مهما كانت طبقتهم . فاذا احرزوا قسطاً من العلم يخضع لهم الناس وان لم يكن في ايديهم شهادات تؤذن بان لهم حق التسلط عليها .

والباعث الثاني على نشر التمدن بين المسلمين اختلاطهم باوربا فان كل من رأوا انتشار التمدن المصري وقدروا تأثير السياحات الى اوربا حق قدرها وعرفوا ما ينتج من اختلاط

المسلم بغيره في هذه السياحات يتجلى له الشوط البعيد الذي قطعته الامة المصرية والتقدم الذي سعى اليه هؤلاء السائحون فصح ان يدعوا من الممهدين لسبيل الحضارة والتمدن .

والفرق في الحقيقة بين هؤلاء السائحين وبين المقيمين في البلاد جوهري محسوس اذ ان السياح سواء كانت رحلتهم للنزهة او التجارة قد غيروا شكل البلاد وكان منهم ان جعلوا مصر اليوم تخالف مصر منذ ستين سنة وبين هذين الدورين بون شاسع كما لا يخفى على الناظر البصير. ومن يجرأ ان يشبه بلاد الجزائر اليوم بالجزائر قبل ان يفتحها الفرنسيس؟ ومثل ذلك يلاحظ في جميع البلاد الاسلامية حتى ان مراكش لتمس باصبعها المدنية الرافعة في جوارها اعلامها. وساكن الشاطئ اسمى عقلا ومدنية من ساكن الداخلية لانه يختلط على الدوام بالعناصر الراقية وينال بذلك علما لا يناله سكان الوسط

اعتبر ذلك في اوربي يتوغل في داخلية مراكش فان المسلمين يسبونه ويشتمونه . واذا كان الاوربي في صحبة مراكشي تهذبت نفسه بالاختلاط بالاجانب فان هذا يحاول ان يشرح للاوربي خطأ ابن دينه مستدلاً على دعواه بجهل مواطنه وانه ما زال على الفطرة متعصباً ومتشبعاً بافكار أمته القديمة

وبعد فان تهذيب المرأة سيكون من اعظم العوامل في المدنية الاسلامية . ولا يسعنا في هذا المقام الا ان نعترف بأن ما تم من الارتقاء لبعض الطبقات المنورة في المسلمين كان الباعث الاكبر عليه تأثير تربية المرأة . لان الشريعة المحمدية خولتها من الشعور ما تعرف به كرامتها لتكون مستقلة ولأن محمداً « صلوات الله عليه » اراد انهاض المرأة من سقوطها الذي كانت فيه قبل الاسلام فسامح بتعدد الزوجات . ومن المحقق ان اسباباً شديدة كانت تقضي بنيلهن هذا الامتياز . ذلك ان في تعدد الزوجات مضاعفة الامة ونموها وتكثير سواد الموحدين مما جبين اثره في هذه الامة . نعم كان تعدد الزوجات من الدواعي الى تجنب الفسق فاستطاعت بذلك المرأة التي تحدثها نفسها بمن في خارج بيت زوجها ان تجد لها من الشرع نصيراً يجعلها في حل من التزوج ممن تحب . وبهذا لم يعهد بين المسلمين الزواج غير الشرعي ورفع عنهم عار التسري واضطروا الى احترام الابكار في بيوت غير بيوتهم

والدليل على هذا بانه منذ قل تعدد الزوجات في البلاد التي نال اهلها نصيباً من التعلم اصبحت بيوت التجور مملوءة بالوطنيات المسلمات بعد ان كان اهلها من غير بنات البلاد وقامت بيوت المهر الوطنية تجاري مواخير الدخلاء وتتغلب عليها

ظلت المرأة المسلمة راضية بما قسم لها من مال زوجها بعد وفاته الى ان استنارت بقبس من المعرفة فانشأت تدرك بأن حظها هذا يجعل عليها بانها دون الرجل في المنزلة . وليس

لنلاحظ اليوم ان الرجل المسلم في البلاد المتحضرة لا يتزوج بغير زوج واحدة وقلما كانت الزوج فيما مضى تقضي اوقاتها مع زوجها بل تبقى في خدرها ولا تخرج منه الاَّ محجبة مبرقعة ولا تزور غير النساء اذ لا يزورها غيرهن فتخلصت المرأة اليوم من هذه العادات وهذا الزوج مهما بلغ من تدينه يتسامح مع زوجه لتخرج لمقابلة الناس على الطريقة الاوربية.

وهذا مما احدث في الرجل ايضاً احسن تاثير لانهُ بالاختلاط المتواصل مع المرأة في البيت اخذت اخلاقه تتدمث وعواطفهُ تلطف وترق واقتبست المرأة المسلمة بما عرفت به من الرقة المعهودة عن المرأة الاوربية — ما نزلت هذه بلاد الشرق مع زوجها الموظف — اساليب الانبساط والبهجة اللذين ما كان زوجها يجدهما من قبل الاَّ في البيوت الاوربية

ومن الغريب ان تعدد الزوجات الذي كان في القديم خاصاً بالغني اصبح لعهدنا عادة من عادات الفقير لان هذا يستخدمهن آلات ينتفع بها في أموره المعاشية فاذا كان لهُ عدة زوجات يكنَّ لهُ بمثابة اجيرات يحرثن ارضه ويزرعن زرعه ويوفون عليه ماله فلا يحتاج بعدئذٍ الى ايدي العامل والزارع

لا جرم ان تعليم المرأة المسلمة سيكون من الدواعي الرئيسة في نشوء العنصر الاسلامي ويساعدها على ذلك فقدان الرئاسة الدينية عند المسلمين وخلاص المسلمة من التأثيرات السيئة التي ترجع بها القهقرى اذا تولى بعض امرها احد خدمة الدين

وهنا نلم بالارتقاء الاقتصادي في المسلمين لانه احدث تغييراً في حالتهم . فقد ظلوا قروناً كثيرة بعيدين عن الحركة الاقتصادية محتفظين بتقاليدهم في متاجرهم فكان منهم لما رأوا تكاثر الاعمال المالية ان عقدوا الصلات التجارية مع غيرهم من الشعوب . واي واسطة احسن في قلب العادات القديمة من المرابأة . فقد كان المسلمون لا يقولون بجمع رؤوس اموالهم وقلما كانوا يستدينون بالربا فانشأوا اليوم يستدينون بالربا ولكنهم لا يدينونه فنجحت بذلك اعمالهم واخذوا يملكون اموالاً طائلة اضطرتهم الى استثمارها والمسلمون اليوم يتعاطون جميع اعمال المصارف والخصم . وانك لترى الآن في مصر شركات عظيمة ورؤوس اموالها من اهل الاسلام خاصة

وجملة القول ليس الاسلام كما رأيت جامداً لا يتحرك بل انه يجري في نشوئه بحسب الحاجات والضرورات الحالية وانا موقن بانهُ يضرب الآن نحو المدنية ويسعى لها سعيها بطبيعة الحال

نظام الطبيعة والانسان والحيوان

نظام الارض ان تدور دورة من الغرب الى الشرق في كل اربع وعشرين ساعة فيكون الليل والنهار . ودورة في كل ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً من الغرب الى الشرق فتنشأ عنها فصول السنة وهي الربيع والصيف والخريف والشتاء

اتى على هذا النظام الذي سنه الخالق العظيم لحفظ الكون نحو ستة آلاف سنة عند علماء الدين وتسعة او عشرة آلاف عام على رأي علماء طبقات الارض . وما برحت الطبيعة محافظة على نظامها لانه من لزومياتها . ومتى تشوش اختلت الارض وقضي على من فيها بالتقهقر الملازم والخراب الدائم

وما يقال في الارض من حيث محافظتها على نظامها الطبيعي يقال في كل ما دب عليها من انسان وحيوان وكل ما ينبت فيها من اعشاب ونباتات ومزروعات وغياض ورياض وغيرها

فالبشر سن عقلاؤهم والمتمدنون منهم نظامات لهم لحفظ حقوقهم ومصالحهم المدنية والعمرانية والعمومية والخصوصية وغير ذلك . وللحيوانات على تباينها نظامات تمشي بموجبها وان لم يدركها اكثر البشر

هذه طائفة الذئاب من الوحوش الكاسرة يظنها معظم الناس لا ترتيب لديها ولا نظام على ان لها نظامات يجهلها الانسان . وهذه طائفة النمل التي ينظر اليها المرء نظرة الازدراء والاحتقار حازت من النشاط والترتيب والنظام ما يذهل العقول ويحير الافكار

راقب سرباً من الذئاب يسير في البرية ترى له قائداً يقوده . وكل ذئب منه يسير بترتيب وراء رفيقه وكأنها كلها جنود مدربة يقودها قائد محنك . وتأمل طائفة من النمل في جدار تلق مالقيته في سرب الذئاب من القيادة او الزعامة والترتيب والنظام

وما يقال في الذئاب والنمل يقال في سائر الحيوانات كاسرة كانت او داجنة وطائرة او سابحة . ويلحق كل من يخالف النظام من تلك الحيوانات قصاص بقدر جرمه . فالذئب الذي لا يسير على سنن النظام او يخالفه اذ يمشي سربه يرتد عليه قائد السرب ثم سائر الذئاب فتزقه تمزيقاً . وبديهي ان هذا القصاص عند طائفة الذئاب من الحيوانات بمثابة قتل القاتل عند البشر . وكل ما يقال في الذئاب بهذا الشأن يقال في غيرها من الحيوانات

خلق الله الانسان الاول آدم وسن له شريعة ونظاماً كما برأ تعالى الخليقة وسن لها نظامات تمشي عليها منذ البدء فقال له " من جميع شجر الجنة تأكل اكلاً واما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها " وهذه الشريعة او النظام اساس شرائع الجنس البشري

وقوانينه فهي اولها . وكان لجماع الآباء الاولين والشعوب القديمة شرائع ونظامات وما فتئت نظامات هؤلاء الموسويين وشرائعهم مدونة في اسفار موسى كليم الله . وتلك الشعوب والامم التي عاصرت الموسويين وجاءت بعدهم كالكلدانيين والاشوريين والفينيقيين والحثيين والمصريين والادوميين والكنعانيين والعرب واليونان والرومان وغيرهم كان لهم شرائع ونظامات نقلها الينا المؤرخون القدماء كهيرودتس اليوناني الذي ولد عام ٤٨٤ ق . م وزنفو الروماني الذي ولد نحو ٣٨٠ ق . م ويوسيفوس العبراني الذي ولد عام ٣٧ ق . م وغيرهم

ولقد عني اليونانيون في ايامهم بالنظامات المدنية والشرائع الدولية . على ان الرومانيين نظموها واتقنوها . ثم اخذت شعوب الارض مبادىء نظامات الرومانيين وشرائعهم وفي مقدمتهم الامة البابليونية . وزادوا عليها كثيراً وشرحوها شروحاً حسب مقتضيات المكان ومطالب الزمان

ولا يزال معظم دول العمور ساعيًا الى سن نظامات جديدة وشرائع مفيدة ومهتمًا بتحسين قوانين بلاده وحكوماته . حتى ان الصين التي استولى الانحطاط عليها قرونًا افاقت من رقادها وبدأت بضبط نظاماتها وتحسين شرائعها وسنها على مثال شرائع العالم المتمدن

وارسال الصين البعثة المؤلفة من اثني عشر عضواً من كبار رجال الامة الصينية ومتهذبيها في هذه الشهور الاخيرة الى العالم الجديد واوربا لدرس شرائع القارتين ونظاماتهما العصرية اكبر شاهد على نهضة هذه الامة واشهر دليل على شدة اهتمامها بنظامات بلادها وشرائع دولتها . فالنظامات المدنية والشرائع الدولية والقوانين العمرانية رافقت الانسان منذ وجد الانسان الاول الى الآن . وهي ضرورية للدول ضرورة الهواء للانسان . ولازمة للامم والبلاد لزوم الماء للانسان والحيوان والنبات

وليست هذه النظامات من حاجات البشر ولا هي محصورة فيهم فقط بل هي من ضروريات كل ما نراه امامنا ووراءنا وفوقنا وتحتنا من هذه الخليقة العجيبة او هذا الوجود الذي لا يزال موضوع بحث الباحثين من علماء غربيين وشرقيين

فتلك الامطار التي تهطل وتحيي الزرع والضرع والانسان والحيوان والنبات نظامات وما تحويلها احيانًا في البلاد الباردة الى الثلج الا من برودة الجو . وما الغمام التي تأتي منها الا منبعثة من تلك الطوارىء الخارجية التي هي سبب من اسباب تشويش نظامها الطبيعي

لولا تلك الاهوية والرياح التي نظنها مضرة مثلت الزروع والاشجار النمو المطلوب ولما اتت بالاثمار والفوائد المنتظرة منها . فالرياح المعتدلة تقوي جذوع المغروسات والمزروعات ومتى تقوت جذوعها كثر نموها . والرياح تسبب التفاح المعروف بلقاح المغروسات ومتى تم

هذا الازدواج او اللقاح اثمرت المغروسات . اما المضار الناشئة من الرياح الشديدة فهي من عوامل الطبيعة الخارجية . فاعتدال الرياح نظامها واختلال الرياح طواريء خارجية تطرأ عليها فتشوش نظامها ويكون بذلك تشويش نظامها واختلاله

وتلك الاشجار الزهراء التي تنضام بعضها الى بعض عند تموجات الهواء وتلك الزروع الخضراء التي نشاهدها تتمايس وتتعانق وتلك الرياحين الجميلة التي تنفح عبيرها وتلك الازاهير العطرية التي يعبق شذاها هي كلها ذات نظامات طبيعية وفي نموها وجماها ورائحتها وثمرها وفائدتها ادلة على نظاماتها التي دونت في كتاب الطبيعة العظيم

بل هذه القبة الزرقاء ونجومها وسياراتها وكواكبها كالشمس والقمر والثوابت وغيرها فان لها نواميس طبيعية ونظامات سطرتها لها انامل الطبيعة . ونواميس النور معروفة وهي « ان النور ينبعث بالتساوي من الجسم المنير الى الجهات كلها وانه يسير في خطوط مستقيمة اذا اخترق وسطًا متجانس الاجزاء . وان كثافته تنقص بقدر ما يزيد مربع بعده »

اما التشويش النظامي الذي يحدث للطبيعة بسبب الطواريء الخارجية التي تطرأ عليها فهو بمقام الاختلال النظامي الذي يعرو الشعوب والدول فيفسدها و يلحق بها اضراراً فاحشة بل يسقطها من ذروة مجدها وقمة سعدها الى حضيض الشقاء والدمار

هذه بلاد السودان من افريقية قد كانت قبل ان احتلتها بريطانيا العظمى مسرح الجهل ومجزر سفك الدماء وفي اقصى دركات التأخر والانحطاط والتوحش لان النظام فيها كان معدومًا . اما اليوم فقد سنت الدولة الانكليزية نظامًا للقطر السوداني على حسب مقتضيات العصر فساد الامن في ربوعه وافتتحت مدارس التهذيب فاخذت تبدد غياهب الجهل من بلاده

ولا يسع الواقف على تواريخ القدماء الا التصريح بان كل امة حافظت على نظامها وكل دولة سارت على سنن قوانينها وكل قبيلة اتبعت شرائع بلادها حازت مقامًا من المجد والعز والرقي وان كل من خالف تلك النظامات من تلك الامم والدول انقلب عزها ذلاً وهناؤها شقاء وارتفاعها سقوطًا وتقدمها تأخراً

ولا حاجة الى القول ان الامة الاسرائيلية لما خالفت شرائعها ونظامها المدنية والدينية دبت في مجتمعها روح الموت الادبي والمدني وعبث بجامعتها عابث فمزق شملها وانفصل حبلها وما المصائب والاضطهادات التي لقيتها هذه الامة في جميع قارات العالم بل ما المذابح التي جرت على شعبها المتفرق بل ما السيف الذي عمل في رقاب كثيرين من هذا الشعب العريق في القدم اينما كان وحيثما حل في خلال القرون الخالية وفي كل قرن من القرون المتوسطة والحديثة ما خلا القرن الثامن عشر لميلاد بل ما الداعي الى انقضاء عروة اليهود على وجه البسيطة

الا بسبب مخالفتهم للنظام والشريعة. وهكذا يقال في البابليين الذين بلغت اسوار مدينتهم العظيمة ٣٠٠ قدم ارتفاعاً و٨٧ قدماً عرضاً وبلغ محيط دائرتها ٤٨ ميلاً . فقد سقطت بيد المادين والفرس سنة ٦٤٤ ق . م . لانهم سكروا في عيدهم السنوي فغفلوا عن واجباتهم نحو الشريعة الدولية والنظام الادبي فهبطوا ذلك الهبوط المريع وخسروا تلك المدينة العظيمة التي اجمع المؤرخون القدماء على انها كانت سيدة الممالك ودرة تاج فخار الامصار .

خسر البابليون على ذلك العيد بخسارة بابلهم مئة باب مصفحة بالنحاس وخسروا هيكل بابل الذي كان ارتفاعه ٦٠٠ قدم والمجيرة الصناعية التي بلغ محيطها مئة ميل وعمقها زهاء ٣٥ قدماً . وفقدوا ايضاً الجنائن الصناعية التي جعلت طبقات بعضها فوق بعض وبلغ علوها علو البرج . دع الدور الفخيمة والقصور الشاهقة والابنية الجميلة

والواقف على تاريخ اليونان القدماء وامتداد سلطتهم وما بلغوه من قوة السعد وعلى تاريخ الرومان وما وصلوا اليه من مناعة العز والمجد لا يرى بداً من التصريح بان تشويش نظامهم الدولي واختلال شرائعهم المدنية كان قاضيين على تلك السلطة وذلك المجد والسعد بالتلاشي والزوال .

فحري والحالة هذه بحكام البلاد الذين تشوش نظامهم واخذ سوس الفساد ينخر جسم مدنيتهم وعمرانهم وحقيق بالآخذين بنواصي العباد ممن استولى عليهم الرقاد ان يستيقظوا ويعتبروا في مصير تلك الدول القديمة التي درست آثارها ويتأملوا في ما فعل التشويش النظامي بالشعوب الماضية التي ضمت اخبارها . وان يتمثلوا بالدول الراقية والامم الناهضة ويقوموا بمطالب التمدن ويلبوا نداء هذا العصر . بل جدير بكل فرد يحب شعبه ويغار على وطنه ان يحافظ على قوانين بلاده ويساعد في تأييد نظام دولته وحكامه . فمتى تحسنت شؤون الافراد تحسنت شؤون العيال فالجماعات فالشعوب

واذا كان الانسان ملكاً او مملوكاً وجيهاً او مصلوكاً رئيساً او مرؤوساً غنياً او فقيراً عالماً او جاهلاً لا يجد من نفسه دافعاً يدفعه الى المحافظة على نظام البلاد والدول والمشاريع المدنية والعمرانية فله امثلة مما يراه في الجهات الست من جماد ومياه وحيوانات ونباتات واجرام ما يجعله ينادي على رؤوس الاشهاد بوجود النظام ووجوب المحافظة عليه ووجوب ضرورته للبشر ضرورة الهواء والماء والشمس والطعام للانسان

اوماها نبراسكا (الولايات المتحدة) يوسف جرجس زخم

ايتها السماء

اليك تتوق أيتها السماء ... نفوسٌ قد اضرَّ بها الشقاء
ومضّتها على الارض الرزايا ... واسأمها بمجبسها الثواء
احقٌّ يا سماء مُنيَ نفوس ... اليكِ لها اليك لها التجاء
تُرَجّي فيكِ بعد الموت عيشاً ... فوا اسفاه ان خاب الرجاء
عِدينا ثمَّ ان شئت إمطلينا ... فانا بالوعود لنا اكتفاء
وانّا نحن قومٌ قد أُهنا ... وانّا نحنُ قومٌ ابرياء
وانّا قد عشقنا الموت لما ... سمعنا ذكره فمتى اللقاء
اذا امست حياة المرء داء ... فليس سوى الحمام لها دواء
يشاء المرء ان يحيا سليماً ... ولكنَّ الحوادث لا تشاء
وما حبّ المعيشة في ديارٍ ... لاحرار النفوس بها جفاء
فلا سقياً ولا رعياً لارضٍ ... تراقُ على جوانبها الدماء
وما سمت عليها قبل هذا ... من الارزاء حتى الانبياء
انفسي ان جزعتِ من المنايا ... فاتي منكِ يا نفسي براء
عبدتِ الادنياء رجاء دنيا ... حوتها بالخداع الادنياء
وأوردتِ الهوانَ فلم تعافي ... فأينَ تحدثي اين الاباء

* * *

ابني يا سماء وخبرينا ... بما لم ندرِ دامَ لكِ العلاء
ولا زالت على مرّ الليالي ... نجومكِ يستضيء بها الفضاء
هل الارواح بعد الموت منا ... لها في جوّك السامي بقاء
ام الارواح تابعةٌ جسوماً ... لنا تبلى فيلحقها الفناء
فضاؤكِ هل يصيرُ الى انتهاء ... ام الابعاد ليس لها انتهاء
وحقٌّ انَّ للاجرام حداً ... ام الحد الذي يعزى افتراء
وبعد نهاية الاجرام قولي ... خلاءٌ في الطبيعة ام ملاء
يحيرني امتدادك في الاعالي ... ويبهجني بزرقتك الصفاء
احبّ ضياء انجمك الزواهي ... فاحسن ما بانجمك الضياء
نجومكِ في دوائر سابحات ... يخفّ بها المهابة والبهاء

تراءى سيفي تحرّكها بطاء وما هي في تحرّكها بطاء
ولا هي في الجسامة لو علمنا ولا سيفي بعدها عنا سواء

* * *

ابيني يا سماء وخبريني والاّ دام في قلبي امتراء
ابيقى المكثرون من الخطايا اذا ماتوا وليس لهم جزاء
نعمرك لا تريد النفسُ هذا فما اجداي وذو التقوى بواء
رأيت البعض يخشع للمنايا فيذكرها ويغلبهُ البكاء
مخافة ان يلمّ الموتُ يوماً ببنيته فينهدمَ البناء
ويضرب عن وراء الموت صفحاً كأنّ الموت ليس له وراء
فان تسأل يقل ما الموت الا نهاية كلّ من لهم ابتداء
اضاءتك الحياة وكنت قبلاً بليل حشو ظلمته العماء
وجودك بعد ذاك الليل صبحٌ وهذا الصبح يعقبه المساء
رقيت من الجماد فصرت حياً تميزهُ الدراية والذكاء
اقول كذا ولم ازدد يقيناً بما في الامر لو كشفَ الغطاء

* * *

فقلت لهُ وبعض القول حقٌّ صريحٌ لم يجز فيهِ المراء
أليسَ مركّبَ الاحياء طراً عناصرُ اوضحتها الكيمياء
فقال بلى فقلت لهُ اليس الـ ـعناصر لا تحسّ ولا تشاء
فقال بلى فقلت اذن فما ذا جرى حتى استلبّ لها النماء
وصارت بعد في الانسان جسماً يفكرُ عاقلاً ولهُ دهاء
فقال السرُّ في التركيب انّ الـ ـمركب قد يقوم بهِ ارتقاء
اذا اتحدت عناصرُ في بناء تغير وصفه ذاك البناء
وجدّ لهُ خصائصُ ذاتُ شانٍ عناصرُ جسمهُ منها خلاء
وانّ حياتنا والموت فاعلم اجيجٌ في العناصر وانطفاء
ولكنّ التعصب في اناس اضلهم الهوى داء عياء
وافهامُ الجهول الحقَّ مرّاً عناءٌ ليس يشبهه عناء
وفي الاصل الجواهر لو علمنا قوىً منها الاثيرُ له امتلاء

تلاقى بينها فتكون منها جواهرُ في النفار لها ولاء
صغيرات الحجوم محقراتٌ ومنها الكائناتُ لها ابتناء
تضمّن قوتي جذبٍ ودفعٍ كما بيديهِ هذا الكهرباء
وانّ الشمس والاجرام طرّاً من الحركات ولدها السماء
لكلٍّ مقولة منها اليها على الدور ابتداء وانتهاء
فان برزت فذاك لها وجودٌ وان خفيت فذاك له فناء

* * *

سماؤك هذهِ تحوي نجوماً لا كثرها عن البصر اختفاء
فتحسب ما يريك الليلُ منها شموعاً في الصباح لها انطفاء
وما هي لو تعي الاّ شموسٌ بها ليدي منوّرها اعتناء
شموس قد اضاء الجوّ منها وزال بها عن الكون العماء
يصغّرُها بعينك حين ترنو لها بعدٌ هنالك واعتلاء
اهمّ بان اعد الارض منها كواحدة فيمنعني الحياء
فانّ الارض تابعة لشمس الى امّ النجوم لها انتماء
فنيهي يا سماء فليس شيءٌ تكوّنَ فيكِ عنك لهُ غناء
فأنتِ لكلّ موجودٍ وجودٌ وأنتِ لكلّ موجودٍ وعاء
وهذا الجوّ انتِ لهُ امتدادٌ وهذي الارض انتِ لها غطاء
وانّ وجود ما في الكون طراً عليكِ اذا تأملنا ثناء
يليق يليق (مااستعليتِ كبراً) بشأنكِ يا سماء الكبرياء
فقبل القبل كنتِ كذا سماءً ولا شمسٌ هنالكَ ولا ضياء
ستفنى الكائنات وليس الاّ لوجهِ الله ثمّ لكِ البقاء

* * *

فقلت لهُ رعاكَ الله هذا على ما جاء في العلم اعتداء
فان حقائق الاشياء سرٌّ خفيٌّ ما لغامضهُ انجلاء
وابدت قبلنا الحكماء فيها اقاويلاً ثما يرح الخفاء

تاريخ علم الهندسة وكبار المهندسين

كل فن من الفنون المعروفة اليوم نشأ نشوءاً تدريجياً وانتقل بخطوه من البسائط الى المركبات وقد كانت مبادئ العلوم جميعها موجودة في عقول البشر وهم بعد في طور الهمجية ثم اخذت تلك المبادئ تنمو وتزيد بالاستدلال والاستقراء الى ان انتهت في طريق تكاملها الى الحالة التي نجدها عليها في هذا الزمان . وقد كانت الحاجة اماً للاختراع والاكتشاف وكثرة مطالب الناس في مجتمعاتهم ومقتضيات عمرانهم كانت تدعوهم الى التوسع في مداركهم من المعرفة وتحملهم على التجربة والقياس فوطدوا اساس العلم الذي وضعه لهم العقل ورفعوا عليه البناء الذي انشأه لهم الاختبار حتى شخص الى عنان السماء واصبح اليوم يغيب البصر في بعد مداه وترامي اطرافه وقسمه القائمون به الى فروع كثيرة اختص بكل فرع منها فريق من العلماء الاعلام واخذوا على انفسهم الاحتفاظ به والزيادة فيه فكان ما نراه لليوم من المعلومات في كل فن خلاصة عصور كثيرة مرّ بها الانسان وعمل عقول جمة تعاقبت عليه الواحد بعد الواحد . من ذلك علم الهندسة الذي نحن في صدده في هذه المقالة التي كتبناها لقراء المقتبس ونحن على ثقة اننا لم نأت الا على نزر من غزر ووشل من بحر من اسماء الجهابذة الاعلام الذين انشأوا هذا الفن وتعاونوا على ابلاغه حده في هذا العصر .

الهندسة علم يبحث في اوضاع الخطوط المستقيمة والمنحنية وفي الزوايا والسطوح والاجسام مع النسب التي بين المقادير وهي اقسام منها الهندسة البسيطة للسطوح والمجسمات وهي تبحث في صفات الخطوط القياسية والسطوح المستوية مع ما تحيط به من الاجسام وينطوي فيها ابحاث الخطوط والزوايا والمثلثات والمضلعات والدائرة والكرة مع الاجسام المحاطة بسطوح قياسية مثل المكعبات والاهرام وغيرها . والهندسة العالية وهي التي تبحث في المنحنيات الحاصلة من قطع المخروط والاشكال المجسمة والذهلولية . ومنذ عهد غير بعيد ارتقت الهندسة العالية ارتقاء باهراً وتفنن العلماء في ادخال الطرق التجريبية لحل القضايا الهندسية وتوسيع ما يعرف عندهم اليوم بالهندسة الحلية او التحليلية . ومن اقسام هذا الفن الهندسة الوصفية او الرسمية وهي عبارة عن توسع في معالجة الاظلال العمودية او المرتسمات الهندسية ورسم اشكال الاجسام على السطوح المستوية وهذا القسم من الهندسة يحتاج اليه كثيراً في صناعة البناء واقامة القباب والجسور وغيرها .

قال الحكيم فاندبث في احد كتبه « الهندسة قسم من التعليميات موضوعة المقدار

وهو كمٌّ ذو امتداد اي كل ماله واحد من ثلثة اشياء وهي الطول والعرض والعمق ويقال لها الابعاد الثلثة . ولذلك يكون كلّ من الخط والسطح والجسم مقداراً دون الحركة فانها وان كانت كماً لا تعد مقداراً اذ ليس لها شيء من الابعاد المذكورة » وهو تعريف محكم لهذا الفن اخترنا الحاقه التاماً باطراف البحث .

قلنا ان الهندسة مثل غيرها من العلوم بدأت بالبسائط وتدرجت الى المركبات ومدارها اوليات بسيطة وحقائق مدركة بالبداهة مثل قولهم الكل اعظم من جزئه والاشياء المساوية لشيء واحد هي متساوية والكل يساوي مجموع اجزائه وامثال هذه من الحقائق المفهومة بدون برهان وغير المفتقرة الى اقامة الدليل . وهذه الاوليات هي اساس فن الهندسة وعليها مدارهُ وهي قدادركها الانسان منذ ظهوره وانسلاخه عن العهد الحيواني . واول رجل استعان بشبره او بقدمه او باصبعه او بذراعه او بباعه او بقامته او بخطوته او بسهمه او بنشابة تناولها من الارض وقاس بها طول طريقه او عرض كهفه او محيط جذع شجرته او ارتفاع جداره يكون هو المهندس الاول الذي ظهر بين الناس . وكما يستحيل علينا اليوم ان نعرف البادي، بعلم الحساب وواضع الاعداد وقواعدها الاولى كذلك يستحيل ان نعرف البادي، بالقواعد الهندسية ونكتفي بالقول انها وجدت منذ وجد العقل ونمت معه مصاحبة لنمو العمران وارتقاء تمدن الانسان . ويرجح الباحثون ان المصريين هم اول قوم دققوا في المقاييس وعينوا بعض الاشكال الهندسية مثل المربع والمثلث والدائرة ومسحوا الارض ودونوا في اطواها وعروضها جداول وسجلات حفظت في دار الملك ورجع الناس اليها عند الحاجة . وذلك انهم كانوا في اول امرهم يقسمون الحقول بينهم ويقيمون عليها تخومًا من الطين . فيعدو عليها النيل عند فيضانه ويذهب بها فتضيع الحدود والفواصل ويضل الفلاحون ارضهم فدعا رعمسيس الثاني في القرن الرابع عشر قبل الميلاد جماعة العلماء وامرهم بالتفتيش عن طريقة يخلصون معها من هذا الارتباك وتكفيهم شر المنازعة على التخوم كل سنة فمسحوا الحقول المستثمرة ووضعوا قواعد مسح المربع والمستطيل من السطوح واستخدموا الزوايا والاقواس في تعيين الحدود واقامة الفواصل والفوا كتبًا وقسموا الارض على موجبها وفرضوا الجزية بحسبها وجرت دولة المصريين على ترتيبهم عبداً طويلاً . وقبل عهد رعمسيس كان المصريون قد عمروا الاهرام وشيدوا الهياكل والابنية الضخمة على اصول هندسية ادركوها بالتجربة والعقل وجروا عليها في الاعمال غير انهم لم يجعلوها فنًا ولا كتبوا فيها شيئًا انتهى الى المتقنين في هذا العصر . وعلى هذا القدر جرى الكلدان بين النهرين في بناء القصور واقامة الآثار التي ما زال بعضها ماثلاً الى هذا اليوم .

قال هيرودتس ان مشأ علم الهندسة كان في مصر وذلك يوم جعل سيزوستريس او عمنيس الثاني المزارعة دورية بين الفلاحين فاضطر الناس في مثل هذه الحالة الى مساحة السطوح المستطيلة والمثلثة والمستديرة لاجل تعيين الحدود بين الحصص في ارض لا يوجد فيها شيء من التخوم والفواصل الطبيعية كالصخور والمسايل والرجم والسدود وغيرها واكد ارسطوطاليس هذا القول بان العلوم الرياضية نشأت في مصر.

هذا وان كان المصريون والكلدان بدأوا بوضع القواعد الهندسية الا انهم لم يتجاوزا فيها القدر الذي دعتهم اليه احوال معيشتهم في مسح الارض وتشييد الهياكل ومراقبة النجوم لمعرفة الاوقات مما له دخل في زراعتهم وعبادتهم وبقوا واقفين عند هذا الحد حتى ظهر اليونان ومدوا يدهم الى كل جرثومة من جراثيم التمدن والعلم في الشرق فاخذوها ونمت على ايديهم نمواً عجيباً فوسعوا اطراف الهندسة ورفعوها الى منزلة جديرة بالاعتبار وبسطوا قواعدها واكتشفوا فيها الاسرار العميقة والفوا الكتب المطولة بالاقسام والابواب حتى صار فن الهندسة يصف بين ارفع العلوم شأناً واجلها قدراً . وابعد مهندسي اليونان عبداً ممن انتهى الينا خبرهم طاليس الفيلسوف احد الحكماء السبعة (٦٣٩—٥٤٨ ق.م) نزل مصر ودرس المعروف عند علمائها وكهنتها من مباديء الهندسة وقاس ارتفاع الاهرام بواسطة اظلالها وحمل العلم الى اليونان حيث رجع واسس المدرسة الايونية جاعلاً الهندسة احد الفنون القانونية فيها فقرأه عليه عدد كبير من طلاب الحكمة ومحبيها ونبغ فيه بعضهم وهو الذي اكتشف اكثر القضايا في المثلث متساوي الساقين وخواص الزوايا المحيطية في الدائرة وقضايا المثلثات المتشابهة فكان اول من جعل لهذا الفن حلقة تدريس خاصة به وجمع الاشتات المعروفة منه ولقنها الطلبة وفتح باباً لمن بعده الى الاكتشاف والزيادة .

اوسع تلاميذه فضلا واسيرهم شهرة فيثاغورس الفيلسوف الذي ولد سنة ٥٧٠ قبل الميلاد ورحل الى مصر متشبهاً باستاذه بعد ان طاف اكثر بلدان الشرق ثم رجع الى جنوبي ايطاليا واسس مدرسة صار لها شأن عظيم في تاريخ التمدن . وهو الذي اثبت عدم التناهي في قياس قطر المربع بالنسبة الى ضلعه واثبت القضية المشهورة في ان مربع وتر المثلث قائم الزاوية يساوي مجموع مربعي القاعدة والعمود ويذهب بعضهم الى ان هذه القضية كانت معروفة عند المصريين قبل زمن فيثاغورس والصحيح انه اول من اقام عليها البرهان الهندسي . واكتشف عدة قضايا في الاشكال والاجسام القياسية والمضلعات التي محيطاتها متساوية وهو اول من جعل الهندسة فناً استقرائياً

وقام بعد فيثاغورس عدد عديد من علمائهم صرفوا اهتمامهم في كشف القضايا واقامة

البرهان عليها منهم اناكساغورس المتوفى سنة ٤٣٠ ق . م وهو اول مهندس جرّ على من بعده ويلاً كبيراً وحملهم عبئاً ثقيلاً بتفطنه الى تربيع الدائرة وصرف القسم الاعظم من وقته في حل هذه المشكلة التي تعاصت عليه وعلى من اتى بعده الى يومنا هذا والغرض من تربيع الدائرة هو رسم مربع بطريقة هندسية تساوي مساحته مساحة دائرة مفروضة فمات رحمه الله واوصى من يعقبه في علم الهندسة باكمال العمل الذي بدأ به فصرفت الايام والشهور والسنون والمعضلة في مكانها كلما زادوها اخفاء زادتهم ابهاماً وخفاء حتى ادركوا في العصور الاخيرة انهم يطلبون الابلق العقوق كما ادرك كيبو الاقدمين ان حجر الفلاسفة لا ينال . قال الحوراني في رثاء استاذه الرياضي الشهير المرحوم ميخائيل مشاقة :

والصبرُ عزّ على الجميع كأنه تربيعُ دائرةٍ ورسمُ مسبع

ومنهم اينوبيدس مكتشف طريقة رسم العمود ورسم زاوية مساوية لزاوية مفروضة

ومنهم هبوقراط الرياضي المولود سنة ٤٥٠ ق . م الذي تقبل مثال صاحبه في الاشتغال بتربيع الدائرة . وهو اول من اشتغل بالبحث في مسح السطوح المحاطة بخطوط منحنية فاكتشف طريقته لتربيع الاهلة المعروفة عند المهندسين باهلة هبوقراط والتي جعلت اساساً لمسح السطوح المنحنية وهي انك اذا رسمت على كلّ من الوتر والضلعين في المثلث قائم الزاوية نصف محيط الى جهة رأس القائمة فمساحة الهلالين الحادثين من تقاطع المحيطات تساوي مساحة المثلث . ومسح ايضاً اهلة اخرى بطرق متعددة جميعها قاصرة على انطباقها على الاهلة دون سائر السطوح المكتنفة بالخطوط المنحنية . وعرضت عليه قضية تضعيف المكعب التي كانت شغل الرياضيين الشاغل في ذلك العصر . ذلك ان الطاعون تفشى في جزيرة ديلوس وثقلت وطأته حتى اعيت به حيلة السكان ولم يطيقوا معه مقاماً فلجأوا الى هاتف ابولون في تلك الجزيرة وسألوه عن الوسيلة لانكشاف البلاء عنهم فأشار عليهم بان يجعلوا المذبح المكعب الذي في هيكله مضاعفاً في حجمه ففعلوا في الحال بان زادوا على المذبح ما يساويه مقداراً واقاموا ينتظرون انفراج الازمة فما ازداد الوباء الا فتكاً ولم يجدهم التوسل نفعاً فعادوا الى الهاتف فاجابهم ان ابولون يريد ان يبقى المذبح مكعباً في شكله مع اضافة مقدار جرمه اليه . فوقع القوم في ارتباك وحاروا في حل هذه القضية ثمّ عرضوها على العلماء الراسخين في ذلك الزمان فلم يوفقوا الى معرفة طول ضلع المكعب المطلوب ليكون حجمه مساوياً لضعفي حجم المذبح واربكتهم المسألة كما اربكت كثيرين بعدهم من الرياضيين اصحاب الشهرة وطول الباع وقد عرضت على افلاطون فعجز عنها وجأ الى المغالطة والسفسطة في اثباتها . ولم يقم رياضيّ بعد ذلك العهد الا ضرب رأسه بها وحاول حلها فاعجزت جميعهم حتى افضى امرها اخيراً

الى ديكارت في القرن السابع عشر ممثلها بالشكل التخطيطي من قطع المخروط والدائرة متقاطعين واثبت ان حلها بالخطوط والدوائر مستحيل . اما بالاعداد فهي من ابسط المسائل التي يعرفها المبتدئون لا تزيد عن استخراج الجذر التكعيبي فاذا كان ضلع المذبح الصغير قدماً وجب ان يكون ضلع المذبح المطلوب بناؤه $\sqrt[3]{٢} = ١٫٢٥٩٩٢١$ واذا كان ضلع الصغير اربع اقدام كان ضلع الكبير $\sqrt[3]{١٢٨}$

ثم ظهر افلاطون (٤٣٠—٣٤٧ ق . م) وبعد ان اقام في مصر زماناً واخذ العلم عن كهنتها عاد فوقف على المذاهب الفيثاغورية واعلن اهتمامه وعنايته بعلم الهندسة فكتب على باب مدرسته « لا يدخلها الا من كان محباً الهندسة » وكان يدعو الله سبحانه « المهندس الازلي» وهو اول من بحث في القطوع المخروطية وهو صاحب الرأي المتعلق بالنقط والاوضاع الهندسية واتلف جزءاً كبيراً من وقته في الاشتغال بقضية تضعيف المكعب فعجز عن حلها بالاثبات الهندسي ولكنه اهتدى الى طريقة عملية واصرّ على انها اخراج صحيح للمسألة وهي ليست كذلك . هذه القضية جرها هاتف ابولون على العلم والعلماء فذهبت باثمن الساعات وارفعها قدراً بدون ان تأتي بفائدة لاصحابها غير انهم اهتدوا وهم يعالجونها الى حل عدة قضايا هندسية واكتشاف عدد كبير من القواعد والحقائق الرياضية حتى ان افلاطون تدرج منها الى وضع اساس الهندسة التحليلية لانها هي التي جرته الى استخدام الجبر والحساب في الهندسة كما جرت غيره الى وضع مقدمات سهلة وتأليف رسائل مطوّلة تمهيداً لحلها وتذرعاً الى بابها . ولا يخطر لي الآن ان علم الهندسة استفاد من الدين في غير هذه المرّة .

(البقية تأتي)

فارس الخوري

دمشق

الحياة

كم ساعة آلمني مسها ... وازعجني يدها القاسية
فتشت فيها جاهداً لم اجد ... هنيهة واحدة صافية
وكم سقتني المرّ اخت لها ... فرحت اشكوها الى التالية
فاسلمني هذه عنوة ... لساعة اخرى وبي مابيه
ويحك يامسكين هل تشتكي ... جارحة الظفر الى ضارية
حاذر من الساعات و بل لمن ... يأمن تلك الفئة الطاغية

وان تجد من بينها ساعة جمعتها من غصص خالية
فالهُ بها لهو الحكيم الذي لم يذه حاضره ماضيه
وامرح كما يمرح ذو نشوة في فلق من تحتها الهاوية
فهي وان بشت وان داعبت ختالة قتالة عادية
عناقها خنق وتقبيلها كما نهش الحية الباغية
هذا هو العيش فقل للذي تجرحه الساعة والثانية
باشاكي الساعات اسمع عسى تنجيك منها الساعة التالية

المعنى مأخوذ من المثل الفرنسوي المشهور وترجمته « آه لو يعلم الشباب وآه لو يقدر المشيب » .

لم يدر طعم العيش شبا ن ولم يدركه شيب
جبل يُضلُّ قوى الفتى فتطيش والمرمى قريب
وقوى تخور اذا تشبث بالقوي الشيخ الاريب
بينا يقال كبا المغفل اذ يقال كبا اللبيب
اوّاه لو عقل الشباب وآه لو قدر المشيب !

القاهرة اسماعيل صبري

صحف منسية

حكم ابن المقفع

ظفرت في دار الكتب الخديوية بالقاهرة برسالة في الحكم من تأليف ابن المقفع ولعلها رسالته المشهورة في الادب كتبها علي بن احمد الحلبي سنة ٨٤٤ هـ وقال في آخرها انها كتاب الادب الصغير وذكر في اولها انها كتبت برسم خزانة المقر الاشرف الكريم العالي الجمالي ناظر الخواص الشريفة بالممالك الاسلامية عظم الله شانه وصانه عما شانه . ومعلوم انه لم يطبع حتى الآن لابن المقفع سوى كتاب كليلة ودمنة ورسالة الدرة اليتيمة

قال القفطي في ترجمة ابن المقفع ما نصه : كان فاضلاً كاملاً وهو اول من اعتنى في الملة الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية لابي جعفر المنصور وهو فارسي النسب الفاظه حكمية ومقاصده من اخلق سنية ترجم كتب ارسطوطاليس المنطقية الثلاثة وهو كتاب

قاطيغوريا س وكتاب باري ارميناس وكتاب انالوطيقا وذكر انه ترجم اسياغوجي تأليف فرفوريوس الصوري وغيره وترجم ذلك بعبارة سهلة وترجم مع ذلك الكتاب المندي المعروف بكليلة ودمنة وله تواليف حسنة منها رسالته في الادب والسياسة ورسالته المعروفة باليتيمة في طاعة السلطان اه

واليك الرسالة كما هي في الاصل :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عبد الله بن المقفع رحمه الله تعالى

عمل البر خير صاحب . احق ما صان الرجل امر دينه . الآنف للدنيا مقتر . من لزم نفسه ذكر الآخرة اشتغل بالعمل . المغبون من طلب ثواب الآخرة في الدنيا . القلب اسرع تقلباً من الطرف . احسن العفو ما كان عن عظيم الجرم . الاعتراف يؤدي الى التوبة . الاصرار وعاء للذنوب . الجواد من بذل ما يضن به . المتكلف لما لا يعنيه متعرض لما يكره . الفكر مفتاح القلب . الاستماع اسلم من القول . كمون الحقود كمون النار في العود . اكرم الاخلاق التواضع . التواضع يورث المحبة . الكبر مقرون به سوء الظن . من عذب لسانه كثر اخوانه . من استبعد الآخرة ركن الى الدنيا . سرور الدنيا كاحلام النائم . المغبون من طلب الدنيا بعمل الآخرة . المصيبة العظمى الرزية في الدين . سرور الدنيا مخوف المغبة . من اهلك نفسه في مرضاة غيره عظمت جنايته . انفع الكنوز العمل الصالح . احق الناس بالبر اعلمهم بالعاقبة . من ابصر العاقبة فاثرها امن الندامة . الوالي من وزرائه بمنزلة الرأس في اعضائه . من عرف ثمار الاعمال كان حقيقاً ان لا يغرس مراً . اهن دنيا بائدة تستكمل كرامة . ابق الجروح مضضاً جرح الآثام . إئت الى الناس ماتحب ان يؤتى اليك . استصغر المشقة اذا ادت الى منفعة . راس البر الورع . اطلب الرحمة بالرحمة . خير الاعمال ما دبر بالتقوى . بالحزم يتم الظفر . من احب التزكية تعرض للضحكة . الدنيا نوم نائم والدولة حلم حالم . من سالم الناس ربح السلامة ومن تعدى عليهم كسب الندامة . بادر لعمل الخير اذا امكنك . من حصن سره امن ضرر ذلك . الدنيا قد تدرك بالجهل كما تدرك بالعقل . احسن العمل الصالح ما كان بصدق النية . خسر من انفق حياته في غير حقها . طوبى لمن ترك دنياه لآخرته . من الحق على السلطان رفع ذي الفضيلة وان يسد ناقله . لا تحمد نفسك على ماتركت من الذنوب عجزاً . بالرسول يعرف قدر الرسل . رفق الرسول يلين القلب الصعب . لا رأي لمن انفرد برأيه . من ترك رأي ذي النصيحة اتباعاً لما يهوى استوخم العاقبة . المشاورة اوثق ظهير . المستشار مؤتمن . اعتبر عقل الوالي باصابته

موضع اصحابه . من صحب السلطان لم يزل مروّعاً . كثرة اعوان السوء مضرة بالعمل . بالحزم يتم الظفر . باصالة الرأي تظفر بالحزم . استوجب الطاعة من ذوي الرأي بالمودة الصنيعة عند الملك . (كذا) الحازم من استمسك برأي الحزمة من ذوي الرأي . لا صلاح لرعية واليها فاسد . خير مستفاد الهدى . اكثر محادثة من يصدقك عن عيوبك . حلية الملوك وزراؤهم . اكمل النصحاء من لم يكتم صاحبه نصيحة وان استقلها . فساد الوالي اضرّ بالرعية من جدب الزمان . استعن بالصمت على اطفاء الغضب . لا تجنين على نفسك عداوة وبغضة اتكالاً على ماعندك من العمل والقوة والمنعة . كن في الحرص على معرفة عيبك بمنزلة عدوك في معرفة ذلك . البصير من عرف ضره من نفعه . (التواضع يورث المحبة . اكرم الاخلاق التواضع . الكبر مقرون به سوء الظن) ربما تحولت البغضاء مودة والمودة بغضاء . قرب الصالحين داع للصلاح . احسن العفو ما كان عن عظيم الجرم . المال عون قويّ على المروّة وانفاقه مهلكة للمروّة . من عدم ماله انكره اهله . خير الملوك من يرى انه لا يضبط ملكه الا بالعدل بين رعيته وأضيعهم الفظّ المتهاون . لا تغتر الاقوياء بفضل قوتهم على الضعفاء . الضعيف المحترس من العداوة اقرب الى السلامة من القوي المغتر . اخوف الاحقاد احقاد الملوك . ابصر الوزراء من بصّر صاحبه عيبه بالامثال . من قلّ كلامه حمد عقله . من عرف قدره قلّ افراطه . احسن والدولة لك يحسن اليك والدولة عليك . (كمون الحقود كمون النار في العود) من حرم العقل رزيء دنياه وآخرته . آفة العقل العجب . الهمّ مرض العقل . احذر صولة اللئيم اذا شبع . احسن المدح اصدقه . الاحسان يقطع اللسان

مطبوعات ومخطوطات

كتاب المعجب

في الناس من يحكمون على الاشياء بظواهرها وعلى كليات الامور بجزئياتها فيأخذون من الغلط صواباً ومن الباطل حقيقة وباليتهم ما استنتجوا ولا استنبطوا . عادة يكفي في وصف قبحها بانها تخلط بين الحق والباطل والصدق والكذب . ولقد كنت استحي من بعض اهل العلم تأففه من سماع الاستنباط في الاخبار علماً منه بان صحة البرهان تكاد تكون مفقودة في الامة فكان شأنه اذا قصّ عليه احد قصة ان يشير اليه بترك الاستنباط وان يكتفي بذكر نبأه مجرداً عن الشروح والحواشي وحواشي الحواشي

ومن سوء الاستنتاج او الاستنباط دعوى بعضهم ان سوق الشعر لما راجت في الاندلس كانت السبب في زوالها وتبديد شمل اهلها لتشاغل القوم به عن الذود عن حياضهم . والظاهر ان القائل بهذا القول طالع بعض كتب التراجم وفيها شيء من الشعر للمترجم بهم فظن ان هذه العناية بالقريض سلبت من النفوس الاستقلال ونزعت منها قوة الارادة واغرقتها في بحور الترف والسرف وفاته ان الشعب في تلك البلاد كان في اخلاقه وعلمه وقت زوال ملكه احسن من كثير من الشعوب الباقية اليوم وان ملوكهم هم الذين يبوءون بالتبعة واحق باللوم والتعنيف

نعم كان للقوم غرام ايامئذ بالشعر والادب لانهما وسيلة الى العلوم كافة حتى قيل عن المعتمد بالله بن عباد الاندلسي انه كان « لا يستوزر وزيراً الا ان يكون اديباً شاعراً حسن الادوات فاجتمع له من الوزراء الشعراء ما لم يجتمع لاحد قبله » ولم يكن الشعر هو القاضي على تلك المملكة وانما هو اختلاف كلمة المتغلبين ووجودهم وسط اعداء اشداء يسمون كل يوم الى تأييد سلطانهم والنيل من عدائهم والاخذ بالقديم من ثاراتهم على حين كان امراء الطوائف بالاندلس لاهين ساهين « همة احدهم كأس يشربها وقينة تسمعه ولهو يقطع به ايامه » وبلغ من تخاذل ملوك الاندلس وتواكلهم ان كان ملوك النصارى يأخذون « الاتاوة من ملوكها قاطبة » يدفعونها اليهم في حين ضعفهم عن يد وهم صاغرون . ولما تمكن حب الاثرة من جوانحهم اخذ احدهم يلتجيء الى عدوه الافرنجي ليعينه على اخيه وابيه

ولذا كان العقلاء يتنبأون بذهاب الاندلس عن حكم المسلمين قبل سقوطها بزهاء قرنين ومن هؤلاء الرجال عبد الرحمن بن خلدون شيخ فلاسفة العمران . على ان فتح الاندلس كان من الغلطات التي جرت على الامة وبالاً كان في الوسع تحاميه . بيد ان الغلط في فتح هذه البلاد كان باعثاً على ظهور ابداع العرب وفضل ذكائهم في الغرب فحمل ذاك الشعب المبذعر البائد لجيرانه من الاوربيين نموذجاً من الحضارة والعلم

واني لاحمد الله على ان لنا دوراً سقطت فيه كلمة المخرقين والسفسطائيين فطبع من كتب الاسلاف ما سهل الوقوف على حقائقهم واخبارهم ومن جملتها كتاب « المعجب في تلخيص اخبار المغرب » لمحيي الدين ابي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي طبعه في ليدن احد علماء المشرقيات العلامة دوزي الهولاندي صاحب كتاب « المسلمون في اسبانيا » المكتوب باللغة الافرنسية ونشر كثير من مؤلفات الاندلسيين كما طبعه طبعة ثانية غيره من علماء المشرقيات .

لم اعثر لمؤلف المعجب على ترجمة وانما قال عن نفسه في كلامه على مراكش . وبهذه

المدينة اعني مراكش مسقط رأسي وفي اول ارض مس جلدي ترابها وكان مولدي بها لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ٥٨١ في اول ايام ابي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ابن علي ثم فصلت عنها وانا ابن تسعة اعوام الى مدينة فاس فلم ازل بها الى ان قرأت القرآن وجودته ورويته عن جماعة كانوا هناك مبرزين في علم القرآن والنحو ثم عدت الى مراكش فلم ازل متردداً بين هاتين المدينتين ثم عبرت الى جزيرة الاندلس في اول سنة ٦٠٣ فادركت بها جماعة من الفضلاء من اهل كل شأن فلم احصل بحمد الله من ذلك كله الا معرفة اسمائهم ومواليدهم ووفياتهم وعلومهم وانفردوا دوني بكل فضيلة ولا مانع لما اعطى الله ولا معطي لما منع يختص برحمته من يشاء وهو ذو الفضل العظيم »

وهذا الكتاب هو كما وصفه مؤلفه : « اوراق تشتمل على بعض اخبار المغرب وهيئته وحدود اقطاره وشيء من سير ملوكه وخصوصاً ملوك المصامدة بني عبد المؤمن من لدن ابتداء دولتهم الى سنة ٦٢١ » « ينضاف الى ذلك نبذة من ذكر » من لقيه المؤلف او لقي من لقيه او روى عنه « بوجه ما من وجوه الرواية والشعر والعلماء وانواع اهل الفضل » ومن الوجوه التي ذكرها لمن قدم له كتابه عذر في غاية اللطف وان كان في غنية عنه الا وهو قوله « ضعف عبارة المملوك وغلبة العي على طباعه فمهما وقع في هذا الاملاء من فتور لفظ او اخلال بسرد فهو خليق بذلك » على ان عبارة الكتاب في الغاية جزالة وبلاغة شأن معظم ما أثر عن الاندلسيين .

حدد المؤلف اولاً جزيرة الاندلس اجمل تحديد مندمج واضح وذكر خبر فتحها واتى باجمع تفصيل لاخبارها وسير ملوكها ومن كان فيها من الفضلاء وذكر هناك حديثاً ضعيفاً في فضل الاندلس وهو في معنى الاحاديث التي يرويها اهل كل بلد من بلاد الاسلام في فضل بلدهم وقال ان معظم ما يروى من هذا القبيل فيه نظر . واحسن بان عدّ من جملة فضائل الاندلس « انه لم يذكر قط احد على منابرها من السلف الا بخير » اشارة الى ان بني مروان وان استولوا على تلك البلاد بعد سقوط دولتهم في المشرق بايدي العباسيين لم يعمدوا ثمت الى لعن احد على منابرهم كما جروا مع الخليفة الرابع نحو الف شهر .

اوجز المؤرخ في ذكر الامويين لانه لم يضع كتابه لذكر اخبارهم وانما اورد طرفاً مجملاً منها حباً بتسلسل الحوادث وعني بذكر دولة المصامدة خاصة فلم يصف عبد الرحمن الداخل باكثر من قوله : (فلم يزل مستتراً ينتقل في بلاد المغرب حتى دخل الاندلس ودخلها حين دخلها طريداً وحيداً لا عز له ولا مال فلم يزل يصرّف حيلته ويسمو بهمته والقدر مع ذلك يوافقه الى ان احتوى على ملكها وملك بعض بلاد العدوة وكان ابو جعفر المنصور

اذا ذكر عنده قال ذاك صقر قريش وكان عبد الرحمن بن معاوية من اهل العلم وعلى سيرة جميلة من العدل »

وبعد فلو اعتدل المترجمون في ذكر مترجميهم الى هذا الحد لما احتاج المطالع في تمحيص الحقائق الى روية زائدة ولسقط كثير ممن تلتمس بركاتهم ويترضى عنهم كما ذكروا. وقال في هشام بن عبد الرحمن انه كان « حسن السيرة متحريا للعدل يعود المرضى ويشهد الجنائز ويتصدق بالصدقات الكثيرة وربما كان يخرج في الليالي المظلمة الشديدة المطر ومعه صرر الدراهم يتحرى بها المساتير وذوي البيوتات من الضعفاء ولم يزل هذا مشهوراً من امره » وذكر ولده الحكم بن هشام الملقب بالمرضي بانه طاغ مسرف وله آثار سوء قبيحة قال (وفي ايامه احدث الفقهاء انشاد اشعار الزهد والحض على قيام الليل في الصوامع اعني صوامع المساجد وامروا ان يخلطوا مع ذلك شيئاً من التعريض به مثل ان يقولوا ياايها المسرف المتمادي في طغيانه المصرُّ على كبره المتهاون بامر ربه أفق من سكرتك وتنبه من غفلتك وما نحا هذا النحو فكان هذا من جملة ماهاجه واوغر صدره عليهم وكان اشد الناس عليه في امر هذه الفئة الفقهاء وهم الذين كانوا يحرضون العامة ويشجعونهم الى ان كان من امرهم ما كان)

*
* *

يقسم المعجب الى قسمين طبيعيين ينتهي الاول بقيام محمد بن تومرت صاحب دولة الموحدين وينتهي القسم الثاني بسنة ٦٢١ ففي القسم الاول خلا التاريخ السياسي تراجم كثير من اهل السياسة والعلم والادب . وتراجم المشاهير هي في الحقيقة تاريخ السياسة. فممن ذكرهم من اهل العلم ابو محمد بن حزم (١) واورد له قطعة من شعره ومما قاله في رجل تمام

انمُّ من المرآة في كل ما درى واقطع بين الناس من قضب الهند
كأن المنايا والزمان تعلما تحيله في القطع بين ذوي الود

وذكر ابن عبدون وابن وهبون القائل

قلَّ الوفاء فما تلقاهُ في احد ولا يمرّ مخلوق على بال
وصار عندهم عنقاء مغربة او مثل ماحدثوا عن الف مثقال

وترجم ابن زيدون وابن عمار وقد اورد له من قصيدة بيتاً لم يسمع لمتقدم ولا لمتأخر بمثله وهو

السيف افصح من زياد خطابة في الحرب ان كانت بمينك منبرا

---

(١) راجع الجزء الاول والثاني من المقتبس

وأ لمّ بذكر ابن اللبانة الذي اكثر من رثاء المعتمد على الله وقد حبسه صاحب مراكش باغمات واستلب منه ملكه وقتل ولده

ومما قاله ابن اللبانة في المعتمد

والدهر في صبغة الحرباء منغمس ... الوان حالاته فيها استحالات
ونحن من لعب الشطرنج في يده ... ورتبا قُمرت بالبيدق الشاة

واطال المؤلف في ترجمة ابن عمار واجاد لانها دالة على حالة سياسية وقد يورد من الاشعار ارقها واعذبها و يعتذر بانه خالف الغرض الذي فرضه على نفسه من الاختصار كل مرة باسلوب . ولابن عمار لما حبسه المعتمد (قصائد لو توسل بها الى الدهر لنزع عن جوره او الى الفلك لكف عن دوره فكانت رُقىً لم تنجع ودعوات لم تسمع وتمائم لم تنفع) فمنها قوله: سجاياك ان عافيت اندى واسمح ... وعذرك ان عاقبت اجلى واوضح

وان كان بين الخطتين مزية ... فأنت الى الادنى من الله تجنح
حنانيك في اخذي برأيك لا تطع ... عداتي ولو اثنوا عليك وافصحوا

الى ان يقول :

وما ذا عسى الواشون ان يتزيدوا ... سوى ان ذنبي واضح متصحح
نعم لي ذنبٌ غير ان لحمله ... صفاة يزلُّ الذنب عنها فيسفح
عليك سلام كيف دار به الهوى ... الليّ فيدنو او عليّ فينزح
ويهنئه ان مت السلو فانني ... أموتُ ولي شوق اليه مبرح
وبين ضلوعي من هواه تميمة ... ستنفع لو ان الحمام يجلحُ

واطال صاحب المعجب ايضاً في نقل رسائل ابن عبدون وهي في الغاية جزالة ورشاقة وشعره الجيد المنسجم وهو صاحب القصيدة التي يقول في اولها

الدهر يفجع بعد العين بالاثر ... فما البكاء على الاشباح والصور

وكان ابن عبدون (اديب الاندلس وامامها وسيدها في علم الآداب) ومن شعره

لاح المشيب على رأسي فقلت لهُ ... الشيب والعيب لا والله ما اجتمعا
ياساقي الكأس لا تعدل الي بها ... فقد هجرت الحميا والحميم معا

ومنه اني نظرت الى المرآة اذ جليت ... فانكرت مقلتاي كل ما رأتا
رأيت فيها شيخاً لست اعرفه ... وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى

ومن لطيف الشعر ما رواه لابي عمر القسطلي من شعراء الطبقة الثالثة في الاندلس —

قال ابو منصور الثعالبي في اليتيمة القسطلي عندهم كأبي الطيب بصقع الشام — يمدح بها ابا علي القالي :

من حاكم بيني وبين عذولي ... انشيجو شجوي والعويل عويلي
أقصر فما دين الهوى كفر ولا ... اعتد لومك لي من التنزيل
عجباً لقوم لم تكن اذهانهم ... لهوى ولا اجسادهم لنحول
دقت معاني الحب عن افهامهم ... فتأولوه اقبح التأويل
في اي جارحة اصون معذبي ... سلمت من التعذيب والتنكيل
ان قلت في عيني فثم مدامعي ... او قلت في قلبي فثم غليلي

ومما ارتجله ابو عمر في بعض مجالسه

أجد الكلام اذا نطقت فانما ... عقلُ الفتى في لفظه المسموع
كالمرء يختبر الاناء بصوته ... فيرى الصحيح به من المصدوع

ولما ملك امير المسلمين يوسف جزيرة الاندلس وكان صاحب المغرب الاقصى وضخم سلطانه واستحق اسم السلطنة وتسمى هو واصحابه بالمرابطين وانقطع اليه (من الجزيرة من اهل كل علم فحوله حتى اشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم واجتمع له ولابنه من اعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الاعصار فمن كتب لامير المسلمين كاتب المعتمد على الله ابو بكر المعروف بابن القصيرة) (كان على طريقة قدماء الكتاب من اتيان جزل الالفاظ وصحيح المعاني من غير التفات الى الاسجاع التي اخذها متأخرو الكتاب اللهم الا ماجاء في رسائله من ذلك عفواً من غير استدعاء) وذكر غيره مثل ابن عبدون واورد له بعض رسائله التي كتبها عنه وهي مسجعة متقنة كما كان اورد له طرفاً صالحاً من شعره . قال ولم يزل حال امير المسلمين من اول امارته يستدعي اعيان الكتاب من جزيرة الاندلس وصرف عنايته الى ذلك حتى اجتمع له منهم مالم يجتمع لملك كأبي القاسم بن الجد المعروف بان القبطرنة وابي عبدالله محمد بن ابي الخصال واخيه ابي مروان وابي محمد عبد المجيد بن عبدون المذكور آنفاً في جماعة يكثر ذكرهم وكان من انبههم عنده واكبرهم مكانة لديه ابو عبد الله محمد بن ابي الخصال) وهنا نقل المؤلف شيئاً من رسائل هذا وبها انتهى القسم الاول باختلال احوال المرابطين واستبدادهم بالامر حتى خرج عنهم

*
* *

يبتدي القسم الثاني من هذا الكتاب بقيام محمد بن تومرت الذي قام بدعوى الامر

بالمعروف والنهي عن المنكر سنة ٥١٥ وادعى المهدوية ولحقه جماعة في بلاد المغرب واسس دولة المصامدة في الاندلس بمالأة عبد المؤمن بن علي . افاض المؤلف في ترجمة هذا المهدي فكشف الغطاء عن حقيقته ولا عجب فان ابن تومرت من اعاجيب الخلق ورجال العالم ثم ذكر خليفته من بعده عبد المؤمن واولاده واحفاده ووزراءهم وكتابهم وقضاتهم واخلاقهم وصفاتهم واخبارهم . ولما دانت اكثر بلاد الاندلس لعبد المؤمن وتشوفت اليه اعيانها «سار حتى نزل سبتة فعبر البحر ونزل الجبل المعروف بجبل طارق وسماه هو جبل الفتح فقام به اشهراً وابتنى به قصوراً عظيمة » « واجتمع له في مجلسه فيه من وجوه البلاد ورؤسائها واعيانها وملوكها من العدوة والاندلس ما لم يجتمع لملك قبله واستدعى الشعراء في هذا اليوم ابتداء ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك انما كانوا يستأذنونه فيؤذن لهم وكان على بابه منهم طائفة مجيدون فدخلوا فكان اول من انشد ابو عبد الله محمد بن حبوس من اهل مدينة فاس وكانت طريقته في الشعر على نحو طريقة محمد بن هاني الاندلسي في قصد الالفاظ الرائعة والقعاقع المهولة وايثار التقعير »

كرر المؤلف الثناء على عبد المؤمن ومما قاله فيه وقد كرر هذا المعنى مراراً (وكان محباً في الآداب مؤثراً لاهلها يهتز للشعر ويثيب عليه اجتمع له من وجوه الشعراء واعيان الكتاب عصابة ما علمنا اجتمعت لملك منهم بعده) وافاض ما شاء وشاء بيانه في وصف ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وكان عالماً مفنناً مكرماً للعلماء والشعراء كثيراً ولم يزل (يبحث عن العلماء وخاصة اهل علم النظر الى ان اجتمع له منهم مالم يجتمع لملك قبله ممن ملك المغرب وكان ممن صحبه من العلماء والمتفننين ابو بكر محمد بن طفيل احد فلاسفة المسلمين كان متحققاً بجميع اجزاء الفلسفة) (يأخذ الجامكية مع عدة اصناف من الخدمة من الاطباء والمهندسين والكتاب والشعراء والرماة والاجناد الى غير هؤلاء من الطوائف وكان يقول لو نفق عليهم علم الموسيقى لانفقه عندهم وكان امير المؤمنين ابو يعقوب شديد الشغف به والحب له بلغني انه كان يقيم في القصر عنده اياماً ليلاً ونهاراً لا يظهر وكان ابو بكر هذا احد حسنات الاندلس في ذاته وادواته) (ولم يزل ابو بكر هذا يجلب اليه العلماء من جميع الاقطار وينبهه عليهم ويحضه على اكرامهم والتنويه بهم وهو الذي نبهه على ابي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد فمن حينئذ عرفوه ونبه قدره عندهم)

وابن الطفيل هو الذي استدعى ابن رشد يوماً وقال له : « سمعت اليوم امير المؤمنين يشكو من قلق عبارة ارسطوطاليس او عبارة المترجمين عنه ويذكر غموض اغراضه ويقول لو وقع هذه الكتب من يلخصها ويقرب اغراضها بعد ان يفهمها فهماً جيداً لقرب ما أخذها

على الناس فان كان فيك فضل قوة لذلك فافعل واني لارجو ان تفي به لما اعلمه من جودة ذهنك وصفاء قريحتك وقوة نزوعك الى الصناعة وما يمنعني من ذلك الا ما تعلمه من كبر سني واشتغالي بالخدمة وصرف عنايتي الى ما هو اهم عندي منه قال ابو الوليد فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما تخصته من كتب الحكيم ارسطوطاليس " وابن الطفيل هو صاحب رسالة حي بن يقظان في اسرار الحكمة المشرقية التي استخلصها من كلام الرئيس ابي علي بن سينا

وختم المؤلف ترجمة ابي يعقوب بقوله وهو شاهد على انطلاق في الفكر : (وفي الجملة لم يكن في بني عبد المؤمن في من تقدم منهم وتأخر ملك بالحقيقة غير ابي يعقوب هذا) ومما دل على حرية خاطره ما وقع له مع استاذه ابي جعفر الحميري علم الاندلس في الآداب والعلم وقد نظم بيتين استحسنهما وقال لابنه هذا والله الشعر لا ما تصدعني به طول نهارك فما كان من ابن استاذه الا ان عمل بيتين اخذ معنى بيتي المؤلف واعدمهما رونقهما ومسخهما جملة فلما تلاها الحميري على تلميذه استحسنهما فقال : هذا والله احسن من شعري فتغير له وقال : (يا بني دع عنك هذه العادة فان اسوأ ما تخلق به الانسان الملق وتزيين الباطل سيما اذا اضاف الى ذلك الحلف الكاذب والله انك لتعلم ان هذا ليس بشيء والا فقد اختل ميزك وساء اختيارك وما اظن هذا هكذا)

وكتب المؤلف ثلاثا وثلاثين صفحة في ترجمة امير المؤمنين ابي يوسف وكان يخالف من تقدمه في مشربه تداخل في عقائد الناس والزمهم بعقيدته وطلق الحرية بتاتا واضطر اليهود ان يلبسوا ثيابا غير ثيابهم تمييزا لهم واهانة والغالب ان سوق الشعر لم ترج في ايامه كل الرواج كما كانت في ايام غيره من الملوك وكانت كلها حروبا وفتنا وسفكا وبطشا وعمارة قصر واحياء مدينة

ومما رواه حيلة لطيفة احتالها ابن عمار رجل الجزيرة على ملك الاسبانيول الادفنش عند ما خرج في جيوش ضخمة يقصد بلاد المعتمد طامعا فيها (وذلك انه اقام سفرة شطرنج في غاية الاتقان والابداع لم يكن عند ملك مثلها جعل صورها في غاية الاتقان اظهرها بحيث بلغ امرها ملك الاسبان وكان مولعا بالشطرنج وكان ابن عمار طبقة عالية فيه فاراده الملك على ان يلعبا معا فما كان الا كلا ولا حتى غلب ابن عمار ملك الافرنج غلبة ظاهرة لجميع الحاضرين لم يكن له فيها مطعن فقال له ابن عمار هل صح ان لي حكمي قال نعم . فما هو قال ان ترجع من هاهنا الى بلادك فاسود وجه الملك وقام وقعد ورجع عن قصد الفتنة بعد ان اخذ اتاوة عامين بفضل ابن عمار . ومن نكت الكتاب ما رواه من ان ابا العلاء

صاعد بن الحسن الربعي دخل على المنصور ابي عامر يومًا في مجلس انسه وقد كان تقدم له ان اتخذ قميصًا من رقاع الخرائط التي كانت تصل اليه فيها الاموال منه فلبسه تحت ثيابه فلما خلا المجلس ووجد فرصة لما اراد تجرد وبقي في القميص المتخذ من الخرائط فقال له ما هذا يا ابا العلاء فقال هذه الخرائط التي وصلت اليّ منها صلات مولانا اتخذتها شعارًا وبكى واتبع ذلك من الشكر فصلاً كان رواه فاعجب ذلك المنصور وقال لعلك عندي مزيد وكان كما قال

وألف له ابو العلاء هذا كتبًا فمنها كتاب سماه كتاب الفصوص على نحو كتاب النوادر لابي علي القالي واتفق لهذا الكتاب من عجائب الاتفاق ان ابا العلاء دفعه حين كمل الغلام له يحمله بين يديه وعبر النهر نهر قرطبة فخانت الغلام رجله فسقط في النهر هو والكتاب فقال في ذلك بعض الشعراء وهو ابو عبد الله محمد بن يحيى المعروف بابن العريف بيتًا مطبوعًا بحضرة المنصور وهو

قد غاص في البحر كتاب الفصوص ... وهكذا كل ثقيل يغوص

ففحك المنصور والحاضرون فلم يرع ذلك صاعدًا ولا هاله وقال مرتجلاً عجيبًا لابن العريف

عاد الى معدنه انما ... توجد في قعر البحار الفصوص

ومما يستفاد من هذا الكتاب وهو حريٌّ باهل هذا العصر ان يتدبروه ما ذكره لبعض الاولاد ممن لا يتجاوزون الخامسة عشرة من الشعر والنثر فمن ذلك قصيدة للرصافي الشاعر قالها في حضرة الخليفة في يوم الحفل ولم تكمل له عشرون سنة ورسالة اوردها لصبيّ بعث بها للمؤلف من مدينة سوس يخبره بفتح عظيم تم على يد السلطان وقطع دابر من كان نازعًا الى الفتنة وهي من اللطافة بحيث يتعذر على كثير ممن يسمون العلماء الافاضل لعهدنا ان يكتبوا مثلها او دونها بدرجات

والم المؤلف في سير المصامدة واخبارهم وقبائلهم واحوالهم في ظعنهم واقامتهم وذكر صفة اقامة الجمعة عندهم وذكر خطبتهم وكيفية دعائهم للملكهم وهو عندهم الامام المعصوم والمهدي المعلوم . وهكذا تجد الكتاب من اوله الى آخره على نسق واحد يتنقل فيه المطالع بين السياسة والتاريخ وتراجم الرجال وذكر العلماء ومفاوضاتهم والشعراء وشعرهم والوزراء واخبارهم والكتاب ورسائلهم والفلاسفة وما جرى لهم . كل ذلك لم يخرج فيه عما قصده من التلخيص وذكر اقاليم المغرب وعين مدنه وحدد ما بينها من المراحل عددًا من لدن برقة الى سوس الاقصى وذكر جزيرة الاندلس وما يملكه المسلمون من مدنها . عمل ذلك عملاً بارادة الملك الذي صنف الكتاب باسمه وقال في الاعتذار عن ذلك وما احلاه من اعتذار: فلم يرَ المملوك بدًا من اجراء على العادة في سرعة الاجابة ومثل مرسومه المخدمة لوجوب

ذلك عليه شرعاً وعرفاً هذا مع ان هذا الباب خارج عن مقصود هذا التصنيف وداخل في المسالك والممالك

فجاء الكتاب كما ترى سفر جغرافية للمغرب فيه ذكر معادنها وانهارها ومدنها وتاريخ مختصر لها بل تاريخ للآداب والعلم والاجتماع فيها يطالعه المستفيد فيكاد لا يترك القلم من يده يقيد من شوارده وفوائده مع ان صفحات الكتاب لا تجاوز ٣٧٣ من القطع الوسط وهو على اختصاره يغني عن مطالعة المطولات لقلة الظفر بها . وما اخال عالماً في هذا القرن على جودة طرق التعليم في بلاد الافرنج ووفرة اسباب العلم عندهم لو اراد ان يؤلف في موضوع هذا الكتاب ان يكتب اصغر منه جرماً واكثر منه فائدة وامتاعاً . وقد قيل ان الاسماء تدل على مسمياتها ولكل شيء من اسمه نصيب . وكتاب المعجب هو في الحقيقة مما وافق اسمه مسماه وطابق لفظه معناه لا يقرأه مستفيد الا ويعجب به كل الاعجاب وقد اجاد طابعه في اتباعه بفهرست للاسماء الواردة في الكتاب واسماء الكتب المذكورة فيه وذلك على عادة الغربيين في كل ما طبعوه من الكتب العربية جزاهم الله خيراً

تاريخ التمدن الاسلامي

من الكتب النافعة التي عني بتأليفها تاريخ التمدن الاسلامي لرصيفنا المؤرخ الفاضل جرجي افندي زيدان صاحب الهلال الاغر وهو يبحث في نشوء الدولة الاسلامية وتاريخ مصالحها الادارية والسياسية والجندية وبيان ثروتها وتاريخ العلم والادب والتجارة والصناعة فيها ونظام الهيئة الاجتماعية وآدابها والعادات والاخلاق . وقد تفرع عن كل مبحث مباحث وعن كل باب فصول تدل على مبلغ علم المؤلف فتم له هذه السنة الجزء الخامس منه وهو آخر الكتاب . وكان كل سنة يصدر جزءاً فيتحفنا بنسخة منه نطالعها برواية واستبصار . ومن يطالع فهرس الكتب العربية والافرنجية التي رجع اليها اثابه الله في وضع مصنفه يتجلى له قدر التعب والمعاناة . اما وقد وضع الآن صديقنا المؤلف الخطوط المهمة من رسم هذا الموضوع الواسع فسيجيء يوم يستوفيه هو بنفسه فيزيد فيه او ينقص منه او يجيء غيره من معاطي هذا الفن فيصلحون بعض ما وقع له منها مما لا تسميه هفوات بل اضطرابات لا مناص للواضع في فرع من فروع العلم من الوقوع فيها . والكتاب مطبوع طبعاً جيداً وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة بمصر فنهني المؤلف على هذا العمل الذي جعله خلاصة علمه وزبدة ما وصل اليه اطلاعه على الامن الذي يتمتع به ونسأل الله ان يكثر فينا من امثاله العاقلين الفضلاء

المدونة الكبرى

صدر الجزء العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر من هذا الكتاب الجليل رواية الامام سحنون عن الامام عبد الرحمن بن القاسم عن الامام مالك وبقي منه جزءان فيقع الكتاب بذلك في ستة عشر مجلداً وقد تبين لنا من تصفح هذه الاجزاء الأخيرة ان في بعض الاحكام المنقولة عن محدث المدينة احكام وافقه فيها القانون الفرنسوي ولذلك اصبح من الجدير بكل مشتغل بالحقوق المدنية كما هو حري بطالب العلوم الشرعية ان يقتني هذا الكتاب الممتع ليقابل بين القديم والحديث وليعلم ان الفقه الاسلامي لم ينقل عن الفقه الروماني بل ان مأخذه الكتاب والسنة والاجماع والقياس . وانا نثني في هذا المقام اطيب الثناء على طابعه الغيور الحاج محمد افندي السلمي المغربي كما لا نزال نشكر له ما بذله من العناية في سبيل الحصول على النسخة الاصلية المقروءة على رجال هذا الشأن ليخرج للامة هذا الكتاب المعدود من امهات كتبها التي يرجع اليها ويعول في هذا الباب عليها .

منتخبات المؤيد

جمع سعادة الصحافي الفاضل الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد الاغر وجريدته اقدم جريدة اسلامية كبرى تصدر في هذا القطر منذ ست عشرة سنة — منتخبات سنة جريدته الاولى جمعها في كتاب وقع في زهاء خمسمائة صفحة وقد اتحفنا بنسخة منه فقرأنا فيه لباب تاريخ تلك السنة السياسي والاداري والعلمي وكل ما يتصرف على ذلك من الاوامر والمنشورات والحوادث المهمة الخاصة بمصر والسودان والدولة العلية فجاء سفراً حافلا بما يلذ ويفيد نرجو له التوفيق الى انجاز سائر السنين في اقرب وقت فان في بعض الصحف اليومية من الابحاث التي تقع لها في الغالب ما يجدر باربابها ان يحرصوا على تخليدها لتنقل خلفاً عن سلف وتكون في القماطر يرجع اليها عند اللزوم . وحبذا لو جرى على مثال صاحب المؤيد الاغر غيره من ارباب الجرائد اليومية ممن يكتبون اليوم ويفقد ما تعبوا بانشائه غداً . وهذه المنتخبات جيدة الطبع وثمن الجزء عشرون قرشاً مصرياً فنحض كل محب للاطلاع على اقتناء نسخة منها

روح التسامح من القرآن

هو كتاب وضعه بالفرنسوية حضرات الافاضل قيصر افندي ابن المطار والهادي افندي السبعي وصديقنا السيد عبد العزيز الثعالبي التونسي ترجموا فيه الآيات والاحاديث النبوية

الآمرة بالتسامح و حترام المخالفين وافاضوا في حرية الاعتقاد في الاسلام ورفع شأن المرأة وبينوا فيه ان الاسلام دين عام لا خاص جاء للعرب فقط وانه يأمر بتعليم الرجل كما يأمر بتعليم المرأة ويقضي باحترام كل صالح من اي نحلة كان وبينوا فيه ما كان من شأن الاسلام في خدمة الحضارة والمدنية ونعوا على المسلمين اغفالهم اصول دينهم والتمسك بخرافات واضاليل من مثل تقديس الائمة ومشايخ الطرق وغير ذلك وهو كتاب اصلاحي مفيد فدموه الى المسيو فالي احد اعضاء مجلس الشيوخ في فرنسا وناظر حقانيتها سابقاً فشكرهم على غيرتهم ونشاطهم . والكتاب طبع في باريز احسن طبع ويطلب من مؤلفيه في تونس

امالي الزجاجي

لبعض العلماء في القديم طريقة كانوا يملون فيها مسائل من علمهم يسمونها الامالي وممن اشتهروا بذلك ابن الشجري امام الادب والشعر وايام العرب الف اماليه فكان احسن كتبه ومنهم ابو العباس ثعلب النحوي له امالٍ ولابي علي القالي كتاب في الامالي عرف به ولابي بكر محمد بن القاسم الانباري امالٍ ولابي القاسم الزجاجي النحوي المتوفى سنة ٣٣٧ هـ امالٍ ايضاً وقد طبعت هذه الايام امالي الزجاجي بمصر وشرحها الفاضل الاديب الشيخ احمد ابن الامين الشنقيطي فجاءت في نحو ١٤٠ صفحة جيدة الورق والطبع فنثني على طابعيها الالباء احمد افندي ناجي الجمالي ومحمد امين افندي الخانجي الكتبي واخيه وهي تطلب من مكتبة امين افندي المومأ اليه بالحلوجي وفيها فوائد لغوية وادبية وتاريخية لا يستغني عنها متعاطي هذه الصناعة فنشكرهم على هذه التحفة

سقوط نابليون الثالث

قلما ينشر بيننا من الروايات المفيد الصحيح الاسلوب والتراكيب النابي عن طور الخلاعة والرقاعة ولكن رواية سقوط نابوليون التاريخية الاجتماعية الادبية الغرامية العصرية جاءت وافية ببعض الغرض فهي بلا مراء من احسن ما عرب لنا . الفها الكاتب الفرنسوي اميل جابوريو وعربها الشاعر الكاتب المجيد نقولا افندي رزق الله ولم يقع المعرب في مثل ما وقع فيه غيره من كتاب الروايات من التراكيب الافرنجية والالفاظ المبتذلة العامية والتراكيب الركيكة بل انها على طولها نسق واحد في جودة عبارتها وتعبيرها مع انطباقها على الاصل في الغالب بحيث جاءت في ثلاث مجلدات تقرب من الف صفحة . ويقيننا انه لو رجع المعرب الفاضل على ما كتب لحذف بعض ما جاء على رأس قلمه عفواً من التجوزات وبعض الالفاظ التي لا يكاد يسلم منها كاتب عربي في هذا العصر على ان ما كتبه غاية

ما يمكن لكتاب الروايات ان يجيدوا فيه الآن فنثني على همته واديه كما نثني على طابعها الاديب عزتلو خليل بك صادق صاحب مجلة مسامرات الشعب وصاحب مكتبة الشعب ومطبعتها بمصر وهي تطلب من مكتبته وثمنها ثلاثون قرشاً صحيحاً

ديوان الرافعي

صدر الجزء الثالث من هذا الديوان لناظمه الفاضل الاديب مصطفى افندي صادق الرافعي وهو تمام ديوانه وقد صدره بباب التهذيب فالحكمة فالنساليات فالوصف فالغزل والنسيب فالمديح والتقريظ فالاغراض والمقاطيع فالمراثي ويدخل في كل باب ضروب من الحكمة والادب تدخل السرور على قلب الكئيب وتحمل النور الى عقل الاديب الاريب من ذلك قوله:

قومي (ولا تفخر) على حالة ... لا يعرف الانسان انسانا
فكلهم مأربه واحدٌ ... فيما ترى شيباً وشبانا
(وظيفة) تكتب تحت اسمه ... او (رتبة) تذكر عنوانا

وقال في الطبيعة والناس

ضلت الناس لا الفقير ممن ... بثراء ولا الغني ببالي
خفض الدهر ثم اعلى فاسى ... بعضهم سادة و بعض موالي
اخوة كالغصون ينبتها الجذ ... ع فصار تكون تحت طوال
ايهذي النفوس ملت عن القط ... رة حتى بليت بالاذلال
الثرى ينبت الحبوب جزافاً ... والورى يقسمون بالمكيال

والشاعر على ما يعرفه القراء مطبوع في شعره مجيد في نثره فله منا الشكر على همته ونشاطه وقد وقع هذا الجزء في ١٥٠ صفحة جيدة الطبع والورق وهو يطلب من المكتبة الازهرية في السكة الجديدة وثمنه خمسة قروش واجرة البريد قرش واحد فنحث المتأدبين على مقتناه

الرحلة الحجازية

هو كتاب في ٢٢٨ صفحة من جمع الاديب الشيخ عبد الله القدومي فيه حوادث ومسائل علمية اثرت عن الشيخ عيسى القدومي النابلسي من علماء القرن الماضي وفيها مطالب دينية و بعضها مما لا يقره اهل التحقيق الراجعين الى هدى الكتاب والسنة من اقوم طريق ممن ردوا مفتريات الحشوية واهل التلفيق . وانا اذا عذرنا المؤلف على ماوقع فيه نا عمت به البلوى من الخرافات في عصره عصر التقهقر والجهالة فانا لا نعذر الطابع اليوم وعصره عصر الارتقاء والعلم

روايتان جديدتان

اهدانا الاديب ابراهيم افندى فارس صاحب المكتبة الشرقية نسخة من رواية القبطان بول تعريب الاديب حبيب افندي نهمي ونسخة من رواية حورية الفلك تعريب الاديبين توفيق افندي حبيب وقسطنطين افندي نوفل وهما تطلبان من مكتبته

مجلات جديدة

(الجامعة) هي المجلة التي اشتهرت بابحاثها الادبية والاجتماعية المعربة عن علماء الافرنج وكتابهم وبعد ان صدرت اربع سنين في الثغر الاسكندري انتقلت منذ مدة الى ثغر نيويورك فاصبحت تصدر هناك مرتين في الشهر وقد انتهت الينا اعدادها الخمسة من سنتها الخامسة فالفيناها سارت سيرتها الماضية من التوسع في المطالب المشار اليها فنثني على منشئها الفاضل فرح افندي انطون ونحث الادباء على مقتناها وقيمة الاشتراك بها ثلاثة ريالات في القطر المصري

(الحياة) هي المجلة الاسلامية العمرانية الفلسفية التي اصدرها الفاضل محمد فريد بك وجدي ثمانية عشر شهراً ثم انقطع عن اصدارها وقد بدا له هذه الآونة اعادتها فصدرت شهرية جاءت مذهبها في الاصلاح مواجهة انصار القديم وزعماء الجديد وطائفة المعتدلين والسعي في احداث حركة فكرية بينهم في ابواب قسم عليها ابواب المجلة فنثني على نشاط منشئها الفاضل ونتمنى له التوفيق الى ما يقصد اليه وقيمة اشتراك المجلة ٢٠ قرشاً في مصر وريال ونصف في البلاد العثمانية

(النبراس) مجلة علمية ادبية تاريخية فكاهية تصدر في كل شهر مرة لصاحبها الاديب احمد افندي شاكر وهي في ١٦ صفحة وقيمة اشتراكها ١٥ قرشاً اميريا وخمسة فرنكات ونصف في الخارج فنتمنى لها الثبات والبقاء

(فتاة الشرق) صدر العدد الاول من هذه المجلة الادبية التاريخية الروائية لصاحبتها الادبية العقيلة لبيبة هاشم وهي مشهورة بانشاء بعض الروايات والمقالات في الصحف سابقاً ولذلك يرجى ان تحسن الاضطلاع باعباء هذا العمل ولا تتكل على اقلام الرجال في كتابة مجلة لربات الحجال وقيمة الاشتراك ٥٠ قرشاً في القطر و١٣ فرنكا و٥٠ سنتيما في الخارج

اهديت الينا بعض كتب كبيرة لم نتمكن بعد من النظر فيها فمعذرة الى مرسليها وموعدنا الاجزاء التالية

سير العلم

صحافة مصر

يؤخذ من تقرير البريد المصري عن سنة ١٩٠٥ انه يصدر في القطر المصري ٣٣ جريدة سياسية وتجارية عربية و٨ جرائد شرقية غير عربية و٥٣ افرنجية وجريدتان عربيتان هزليتان وثلاث جرائد افرنجية وعشرون مجلة ادبية وعلمية وصناعية عربية ومجلة واحدة شرقية ومجلتان افرنجيتان و١١ مجلة دينية عربية ومجلتان دينيتان عربيتان و٤ مجلات طبية عربية ومجلة واحدة نسائية افرنجية ومجلة عربية ماسونية . فمجموع ما يصدر في القطر بين صحف ومجلات عربية وافرنجية ١٤٦ منها ٦١ افرنجية و٩ شرقية غير عربية و٧٦ عربية

تطهير الهواء

هواء المدن في العادة فاسد مضر رديء فالابخرة والغازات والغبار المتراكم والدخان والروائح القذرة العفنة التي تتكاثف في الجو بلا انقطاع تفسد المناخ ولاسيما اذا زاد سكان المدينة عن المليون يحيط بهم مليارات من الامتار المكعبة من الهواء الذي تنمو فيه الجراثيم القتالة . وقد عرض طبيبان من اطباء غلوستر في مقاطعة الماساشوست في اميركا الشمالية طريقة ادعيا انهما وفقا اليها وانها تطهر الاهوية وذلك بان تقام مئات من الآلات المفرغات تنقي كل منها عشرة آلاف متر مكعب من الهواء كل دقيقة . واقترحا ان تجرب طريقتهما تحت القبة الارضية من السكة الحديدية الجديدة التي انشئت منذ بضعة اشهر تحت مدينة نيويورك . ويكلف اقامة مئة آلة مفرغة مليون جنيه فتجمع المواد الحيوانية والنباتية والمعدنية المعلقة في الفضاء بعد اجراء التطهير في حفر ذات بواليع (مجارير) فيستخدم ما يجمع في بعض الاعمال الزراعية والصناعية فيكون من ذلك ارباح توفي النفقات وتزيد

نفق المانش

أقيم منذ اشهر نفق (تونيل) بين ايطاليا وسويسرا واليوم يراد اقامة نفق ثان تحت بحر المانش بين انكلترا وفرنسا ويكون طول هذا النفق ثلاثين ميلا او ثمانية واربعين كيلو متراً على عمق ٤٥ متراً عن قاع البحر فتستفيد الامتان من اتصال بلادها مباشرة بدون

ركوب اليم و يصبح ثغر دوفر اعظم الثغور فينافس ثغر همبورغ وانفرس وتتصل لندن بباريز وبجريط « مدريد » ولشبونة وبروسل وفينا ورومية والاستانة وآثينا وبطرسبرج

القهوة (البن) الخالصة

تصعب معرفة جيد القهوة الناعمة من رديئها وقد نشر مكتب الزراعة في الولايات المتحدة كراسة لاحاطة القوم علماً بالقهوة الرديئة جاء فيها اذا كانت القهوة المسحوقة ذات شكل واحد تفحص بالعين المجردة او بالعدسية واذا لم تكن على شكل واحد فتكون القهوة مخلوطة بفول او حمص او هندباء او غيرها من المواد وللوقوف على سلامة القهوة ضع قليلاً من مسحوقها في زجاجة ملي ء نصفها ماء وحركها حتى يبتل كل جزء من اجزائها فيكون في القهوة الخالصة بعض مادة زيتية وبها تطفو على وجه الماء اما ما كان من غير مادة البن فيرسب في اسفل الزجاجة . اما الهندباء فتترك عند ما تذاب في الماء اثراً مائلاً الى السمرة تخدع النظر

الفقراء والاغنياء

ارتأى بعض الاميركيين ان اختلاف كثير من فتيان الاغنياء الى المدارس الكلية يجلب على فكر الشبيبة ضرراً وخطراً . وقد وافق رئيس كلية يال على هذا التغيير ومن رأيه ان معايب الطلبة الاغنياء كمعايب الطلبة الفقراء ولكلا الفريقين صفات يمتاز بها وفي العادة ان يكون الفقراء اصحاب اناية وان يكون الاغنياء ضعافاً في الغالب قال وليس الفقر منقذاً من الاهواء والنزغات .

اللغة الجديدة

قيل لما رأى تيمورلنك التتري في القرن الثامن للهجرة جيشه مزيجاً من اجناس مختلفة ذات السنة متبلبلة اوعز الى بعض خاصته بانشاء لغة يتفاهمون بها على تباين لهجاتهم فأنشأوا لغة « اردو » اي الجيش فانتشرت حتى اصبحت الآن لغة الهند الرسمية يتكلم فيها الهنود على اختلاف ولاياتهم ومناحيهم . وان هذه اللغة الاردية او الهندستانية كانت من جملة الامور التي حملت في العهد الاخير احد اهل العلم في روسيا فانشأ لغة سماها الاسبرانتو ألفها من لغات اوربا وسهل مفرداتها وتراكيبها ونحوها وبيانها حتى شاعت في مدة قصيرة بين الافرنج على تنوع لغاتهم واخذت تصدر فيها الكتب والصحف ويتعرف بها الايطالي الى الروسي والالماني الى الاسباني والصربي الى الانكليزي والبلغاري الى الفرنسوي . وقام في اذهان العلماء ان يسعوا لجعل هذه اللغة لغة دولية كما كانت الفرنسوية من قبل فاخذت

بعض الجمعيات الساعية في نشر الوية السلام بين الانام تبذل الجهد لتكون هذه اللغة التي ألفها البشر عمدة لكل المتمدنين وانقاذهم من عناء تعلم لغات جمة ليتآلفوا مع بقية الامم . ويؤخذ من لهجة الصحف الغربية ان عدد المتكلمين بهذه اللغة يزيد كل يوم مئات وان مجموعهم اربى على مئات الالوف

فلز جديد

يتألف هذا الفلز (برونز) اللدن السهل التطريق من النحاس المعروف والقصدير وغيرهما من المعادن الصلبة دعاه مخترعه فورميتال (المعدن القوي) وانه للينه الخاص به ليصنع كما يصنع الحديد والفولاذ والنحاس فيتأتى سبكه صفائح متجانسة ويصنع على نحو ما تصنع هذه المعادن فيدق محمياً وبارداً ويطرق ويصفح ويطبع ويحدب ويجعل اسلاكاً وقطعاً . وهذا المعدن لا يصدأ ويقاوم فعل ماء البحر فلا يتأكل كما يتأكل الحديد وغيره ويصبر على رطوبة الارض والحوامض المحلولة . وكل هذا مزايا خاصة به يفضل بها الحديد والفولاذ وليس هو اغلى قيمة من اجود انواع النحاس ويستعمل للمضخات والاسطوانات المائية والكراسي الميكانيكية واللوالب التي تقذف المواد المدمرة وعدادات توزيع المياه والدواليب المسننة وغيرها

المشي على الماء

اخترع ضابط في اميركا قبقاباً اذا وضع الانسان فيه رجله يسير به على سطح الماء فيعوم ولا يغرق وسمى هذا القبقاب ايضاً « زورق الرجل » او « حذاء الماء » وهو من خشب على شكل زورق صغير تدخل فيه الرجل بسهولة ويخفي اللابس الى الامام على نحو ما يفعل من يريد التزحلق على الجليد ثم يحرك الرجل اليسرى فيسير الماشي على النحو الذي يسير به الهندي من السهولة اذا ركب زورقه المعمول من القش . وليس هذا الحذاء ثقيلاً وقد كانت الاحذية التي جرب بها الضابط اختراعه بادي بدء طويلة ثم صغر مقياسها فاصبح الماشي يلبسها ويسير بالسرعة التي يتطلبها ويتجه به حيثما شاء . ويحتاج لبس القبقاب المائي الى قليل من المعرفة ليتوازن جسمه معها ومتى تعلمها يسير بها كما يسير راكب الدراجة (بسيكلت) ومتى مشى هذه المشية ثلاث مرات يمهر فيها مهارة تبعده عن الخطر . واذا حدث ان سير القبقاب انكسر فلا يغرق لابسه لان القبقاب المائي يستعمل عند الحاجة كما تستعمل الاطواف (الكلكات المشدودة) وهذا السير يكون على وجه الترع والانهار لا في تيار البحار . قالت المجلة الافرنجية التي نقلنا عنها هذا النبأ ولقد كان بعضهم حاول اختراع شيء يماثل

هذا الحذاء الغريب في القرن الماضي وجربه في نهر السين في باريز فلم يفلح اما اختراع الضابط الاميركي اليوم فواف بالغرض المقصود . فاذا وقريباً نرى السائرين على سطح الماء يعبرون النيل والفرات ودجلة وبردى والاعوج والعاصي ونهر ابراهيم ونهر ابي علي وسيحان وجيحان وغيرها من الانهار والترع ويصدق ما كان يزعمه بعضهم من انهم كانوا يمشون على الماء ولكن دعواهم كانت بلا علم ولم يقم برهان واحد على صحتها تقبله العقول السليمة ودعوى المخترع الجديد يدعمها العلم والبرهان

الري

الشائع ان الاراضي التي تروى على نظام واحد تأتي ثلاثة اضعاف الغلات والثمرات التي تأتي من ارض من مثلها بالتعهد بالسقيا وقد بحث عالمان من علماء الفلاحة من الافرنج في هذا الامر فاثبتا ان عدة اسباب تدعو الى عدم كفاية الري وان حاجة الارض الى الماء ليست على معدل واحد في كل مكان على انك تجد اكثر الفلاحين في معظم الاقطار يسقون زروعهم على طريقة واحدة وبكمية واحدة ويشجون بالماء على الارض التي تتطلب مزيد ري على حين كان عليهم ان ينظروا في كل ارض الى حالة رشحها ويعطوها من الماء ما تقتضيه طبيعتها . وذلك بان لا تسقى التربة القليلة الرشح سوى كميات كثيرة فيكون ما ينفق على الري متعادلاً مع الغلات التي تأتي منها . ويعنى هذا العالمان بوضع رسم على ما يقتضي لكل ارض صرفه من الماء يتوازى مع غلاتها وعلى حسب طبيعة كل تربة

مستقبل الشمس

قال كثيرون من علماء الفلك ان الشمس آخذة بالهبوط وانها ستظلم بعد ان كانت ضياء العالمين وتوشك ان تنطفئ شعلتها وتبطل حرارتها . وقد اثبت اللورد كلفن ونوكمب وبل من رجال هذا الفن انه سيكون لعمل الشمس حداً وانه انقضى زهاء نصف عمرها ولم يبق لها الا اقله . وخالفهم الاستاذ سي من المرصد البحري في كليفورنيا بامبركا قائلاً ان الشمس لم تبلغ حتى الآن سوى ربع عمرها وان المستقبل كفيل بما سيكون من حالها بعد بانياً حكمه هذا على اعمال رياضية قام بها قيام الابطال وصبر حتى تناول النتيجة صبر امتحان بين يوم النزال فبان له ان ما مضى من ملايين السنين على ما ارتآه داروين في النظام الشمسي هو من الاستمرار الناقص في حالتها لان الجاذبية هي التي تعمل في الشمس وان حظ معظم السيارات الثابتة كحظ الشمس اي انه ما زال فيها نصف حرارتها وزيادة . وقد اهتم بعض ارباب

هذا الشأن باستقراء الاستاذ سي واخذوا يبحثون في امره وعلى كل فان كلامه يبعث على الاطمئنان من ناحية الشمس وانها ستبقى ايضاً بضعة ملايين من السنين

مركبات القطارات

كل من ركب القطارات يعلم ما ينالها من الغبار خصوصاً عند ما تصل الى آخر الخط بعد ان تسير ساعات متواليات وان السكك الحديدية تستعمل في الغالب المكانس لازالة الاوساخ التي تعلق في المركبات وقد استعملت بعض البلاد مؤخرا اداة ميكانيكية لكنها لم تأت بنتيجة نافعة لان الغبار كان يزول عن ظاهر المقاعد ويعلق في الثنايا والطيات التي لا تصل اليها تلك الآلة وجربت الشركات الفرنسوية منظفات متحركة ذات مضخات فارغة من المواد تدار بمحرك كهربائي وتنقلها عجلات فاسفرت عن نتيجة حسنة وسرعة مطلوبة . وجربت بعض الخطوط الالمانية هذا الاختراع في ضاحية برلين فظهر لها نفعه .

الطماطم (البندورة)

كان يحظر على المصابين بداء المفاصل والآلام العضلات ان يتناولوا الطماطم لما فيها من حامض ملح الحماض (Ox alioque) الذي يزيد في الم المصابين بهذين الدائين وقد اقام العالم الفرنسوي ارمندغوتيه الحجة على هذا الحظر اذ استبان له ان في الطماطم كمية وافرة من الحامض الليموني وحامض الماليك مما يصفه الاطباء للمصابين بآلام العضلات

كتاب فرنسا

قدرت احدى المجلات ان لفرنسا في هذا القرن مئة الف كاتب او دعي في الكتابة منهم ٦٤٧٥٠ لا صفة لهم اي ليس لهم حسنات ولا سيئات و٣١١٠٠ كاتب هم وما تخطه اناملهم سخرية وهزوء و١٣٥ رجلاً يكتبون اموراً مهمة بانشاء وسط و٣٨ هم كتاب حقيقيون . ا دل على ان المجيدين قلائل في كل امة

الصنائع العربية

قال احد الباحثين في المجلة التونسية ان جودة الصناعة العربية تتمثل لك في التحف منها وفي المصنوعات العادية وان العرب أخذوا عن الروم والفرس اولا كيفية اقامة دورهم وان صناعة تطريق المعادن ارتقت عندهم كما فاقوا غيرهم في صنع النسيج ويقال ان الاوربيين اخذوا صناعة الزجاج عن زجاجي العرب

مدرسة الكتاب

في ميلان احدى المدن الايطالية مدرسة اسست سنة ١٨٨٨ على يد جمعيات الطباعة في تلك المدينة دعوها مدرسة الكتاب اي صنع الكتاب وما يتوقف عليه من طبع ووضع وقد كانت الحكومة الايطالية تساعدها مساعدة بالف وخمسمائة فرنك وظلت حقيرة حتى سنة ١٩٠٠ وهي السنة التي وهبها بعضهم ملايين من الفرنكات وقفها عليها وقفاً شرعياً تنتفع تلك المدرسة بغلته مادامت الارض والسماء . فعندها اقامت عمدة المدرسة لها بناء فخيماً كلف ثلثمائة الف فرنك وجعلت فيها صفوفاً لتعليم تنضيد الحروف وصفها باليد وعلى الاداة وصفوفاً للطبع والتصحيح والقطع والحفر على الخشب وطبع الحجر والتذهيب والتخييس وصفوفاً لدرس طريقة التصوير الميكانيكي والتجليد والرسم وتعلم اللغة الايطالية وغيرها ومدرسة لتعليم المستخدمين في حوانيت الكتبية . ويتعلم التلاميذ في هذه المدرسة ما يروقهم من هذه الصناعات مجاناً لا يدفعون شيئاً

بحيرة زئبق

اكتشفت في الجبال المجاورة لفراكروز في المكسيك بحيرة من الزئبق سطحها نحو ١٢٥ فداناً وعمقها خمسة امتار ويساوي الزئبق الذي فيها عدة ملايين من الفرنكات وكانت هذه البحيرة معروفة عند اهل الجوار منذ اجيال ولكن يصعب الوصول اليها لما في طريقها من الصخور والتلعات حتى اذا فعلت الحوادث البركانية فعلها سهلت السبيل اليها وسيقام نفق في الجبل ليصل اليها الناس آمنين

هواء المدن والارياف

ثبت لاحد الباحثين في هواء المدن العظمى ان ميزان الحرارة « الترمومتر » يعلو علواً متوسطاً في المحال التي تجتمع فيها البنايات بكثرة وقد اخذ معدل الحرارة في لندن وبرلين وباريز وقاسه بحرارة ضواحي تلك المدن فكانت في الغالب انقص في الارياف منها في المدن درجتين او ثلاث درجات . واكد الشيوخ من الانكليز ان البرد في انكلترا لا يقرس الآن كما كان يقرس منذ خمسين سنة وعلل ذلك اصحاب الشأن بأنه كان هناك مستنقعات جففت فانقطعت الرطوبة وكان الشتاء قديماً يبدأ في انكلترا في شهر دسمبر (كانون الاول) بل وفي نوفمبر (تشرين الثاني) اما الآن فلا يصل الى يناير (شباط) وقد خلصت من البرد . اذا عرفت هذا فانه يسوغ لك ان تقول بأن هواء سيبيريا الجليدي سينقلب عما قريب .

ومعلوم ان درجة الحرارة في فرخويانسك وهو ابرد مكان في الارض من ولاية ايا كوستك يبلغ معدل الحرارة فيه في الشتاء ٩ر٦١ تحت الصفر ثم ان لقطع الغابات دخلاً في تغيير الهواء فان قطع الاشجار من الغابات التي لم تقطع منها من قبل شجرة قد احدث في اميركا اسوأ التأثير في الزراعة التي كانت تلك الاشجار في الحقيقة بمثابة واق لها من بوائق الجو

قوى الامم

كتب احدهم في المجلة الاستعمارية النيابية مقالاً جاء فيه ان ما يتنبأ به العالم من ظفر أُمة على امة قد يكون تخرصاً فلا يصدق قال المتفائل ولا حدس الحادس من ذلك ان اليابان وكانت سنة ١٨٩٤ اربعين مليوناً فدحرت جيش ابن السماء وكان عدد الصينيين اذ ذاك ٣٦٠ مليوناً وها ان جمهوريتي الاورانج والترانسفال ولم يكن فيهما اربعمائة الف نسمة ولا جيش دائم قد تغلبا على الجيش الانكليزي وقهرا انكلترا ذات الحول والطول وضخامة الملك والسلطان وكان من اليابان ان غلبت الجيش الروسي وهو جيش القياصرة الجرار . قال الكاتب وانا لنجهل مع هذا تقدير قوى الممالك الجندية على وجه التقريب وكل امة لا تكون قوية بدون تنمية الشهامة الطبيعية وتعويد افرادها النظام في العمل واقباسها قبس التهذيب والتعليم والتثقيف هيهات ان تعد من القوة في شيء فقد كان لروسيا مورد عظيم للرجال ولكن كان ينقصها التمدن ويكفي ان العمل بين سكانها كان غير مكرم على الجملة وان الامة في روسيا لتضطر ان تنقطع عن العمل في السنة ١٣٥ يوماً في اعياد بطالة

قانون الوراثة

نشرت مجلة اميركا الشمالية بحثاً في كيفية انتقال الصفات والعيوب الطبيعية والعقلية بالوراثة من الآباء للابناء ومن جيل الى آخر ظهر منه كيف خلطت الوراثة بغيرها من المؤثرات الكسبية او الناشئة من المولد والموطن فاستنتج الباحث بان الامراض الظاهرة او الكسبية لا تنتقل اصلا وان الاستعداد للامراض هو الذي ينتقل لا المرض نفسه . مثال ذلك السل فقد تبين اليوم ان المسلول لا تنتقل اليه من آبائه جراثيم العلة بل ينتقل اليه الاستعداد لهذا الداء ولولا ذلك ما تيسر الشفاء منه . واستنتج بان عيوب التراكيب الظاهرة لا تنتقل في العادة وانه من الممكن ان ينتقل الخلل الباثولوجي في الحواس الداخلية

وقع خطأ في ص ٤٢٥ س ٨ «وابي بكر بن زهير» والصواب وابا بكر وس ١٠ ابو القاسم والصواب ابا القاسم وفي ص ٤٥٩ س ٥ فما اجاني والصواب فما الجاني